دوافع حملة الإسكندر الأكبر على بلاد العرب

دكتور/السيد محمد جاد
أستاذ مساعد بقسم التاريخ
كلية الاداب - جامعة طنطا

دوافع حملة الإسكندر الأكبر على بلاد العرب (*)

بدأت حملات الإسكندر الأكبر على الإمبراطورية الفارسية قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب بشكل عام، وفى تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم بشكل خاص. فلم تقتصر آثار هذه الحملات على سقوط الإمبراطورية الفارسية، ووصول اليونانيين إلى حدودها الشرقية، وسيطرتهم على كافة المناطق التابعة لها حتى ذلك التاريخ، بل تعدت ذلك كله إلى نشر الثقافة والحضارة اليونانية فى تلك المناطق على نطاق لم تشهده من قبل. ويكفى للدلالة على ذلك أن تسمية العصر الهللينستىّ (أو: العصر المتأغرق) التى أطلقها المؤرخون على القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد تعبر بالدرجة الأولى عن السمة المميزة لحضارة هذه المرحلة، بتركيزها على التفاعل الحادث آنذاك بين اليونانيين وشعوب بلدان الشرق الأدنى القديم.[١]

من ناحية أخرى تمتعت بلاد العرب[٢] بمنزلة خاصة بين بلدان العالم القديم نظراً لأهمية مواردها ونشاط أهلها التجارىّ الذى لم يقتصر على التجارة فى منتجات بلادهم بل تعداها إلى منتجات الهند والشرق الأقصى. لقد جعلت هذه الأهمية التجارية لبلاد العرب، التى تشغل موقعاً متوسطاً بين الشرق والغرب، محط أنظار الإمبراطوريات الشرقية والغربية سواء بسواء. وإذا كانت محاولات الأباطرة البابليين والفرس السيطرة على حدودها الشمالية والشرقية فى النصف الأول من الألف الأخيرة قبل الميلاد تمثل بعض محاولات القوى الشرقية للتدخل فى شؤونها الداخلية،[٣] فإن فكرة الإسكندر الأكبر المتمثلة فى القيام بحملة لضم منطقة الجزيرة إلى إمبراطوريته التى أقامها على أنقاض الإمبراطورية الفارسية تشكل أولى المحاولات الغربية فى هذا المجال.

(*) الدكتور/ السيد محمد جاد - أستاذ مساعد بقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة طنطا.

وتتميز فكرة الإسكندر هذه بجرأتها؛ نظراً لأن اليونانيين لم يكونوا يعرفون فى تلك الآونة الكثير عن جغرافية بلاد العرب؛ ولكونها، كما سنرى، لا تقتصر فقط على السيطرة على الحدود الشمالية والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية، كما كان الحال مع محاولات الإمبراطوريات الشرقية السابقة فى بلاد الرافدين وإيران.[٤] وكما يتبين من المصادر القديمة التى تشير إلى مشروعات الإسكندر المتعلقة ببلاد العرب فإنه أولى هذه المشروعات اهتماماً كبيراً، ويتضح ذلك من أعماله على حدودها، ومن ترتيبات حملته المرتقبة عليها، مثلما يتضح أيضاً من دوافعه العديدة وراء هذه الحملة. ونظراً لأن الحملة لم تتم، فقد ثار الكثير من الجدل حول حقيقة مشروعات الإسكندر فى المنطقة، وحول ما إذا كانت نيته قد اتجهت بالفعل إلى السيطرة على بلاد العرب، وحول طبيعة دوافع الحملة التى تذكرها المصادر.[٥] ويرجع السبب فى هذا التفاوت إلى عاملين أساسيين، يتمثل أولهما فى الاختلاف الواضح بين بعض الدوافع التى يذكرها المؤرخون القدامى أنفسهم، وهو اختلاف يمتد ليشمل فى حقيقة الأمر عدداً كبيراً من مشروعاته ذاتها. أما العامل الآخر فيتمثل فى وفاة الإسكندر المفاجئة التى وضعت حداً لأعماله وطموحاته، وجعلت من الصعب بالنسبة لنا أن نتحقق من طبيعتها. وتهدف هذه المقالة إلى دراسة هذه الدوافع، معتمدة على فكرة مؤداها أن النظر إليها نظرة متكاملة، بحيث يفسر بعضها بعضاً، بدلاً من المفاضلة بينها كما يفعل الدارسون عادة،[٦] يمكن أن يساعد على إدراك أهمية الحملة بالنسبة للإسكندر، بل وعلى تفهم أبعاد شخصيته بشكل أكثر وضوحاً، وكذلك إدراك الدور الحيوى الذى ينتظر من بلاد العرب القيام به فى إمبراطوريته الممتدة الأرجاء التى قضى حتى ذلك الوقت حوالى عشرة أعوام فى إنشائها. ويتبين ذلك بشكل خاص عند مقارنة هذه الدوافع بغيرها من دوافع بعض الأعمال الأخرى التى قام بها الإسكندر فى مسيرة فتوحاته.

تمهيد :

لقد وردت أخبار حملة الإسكندر على بلاد العرب فى عدد من المصادر القديمة التى ركزت على أعماله وفتوحاته.[٧] ومن أهم هذه الكتب وأوثقها كتاب "حملات الإسكندر" لمؤلفه أريانوس (Arrianus) الذى اشتهر بلقب مؤرخ الإسكندر،[٨] وكتاب "الجغرافيا" لمؤلفه استرابون (Strabon).[٩] وفيما يتعلق بأريانوس فإنه يقول في معرض حديثه عن أعمال الإسكندر فى جنوب العراق فى العام الأخير من حكمه:[١٠]

لقد كانت الاستعدادات البحرية موجهة ضد العرب، على ما يبدو، لأنهم كانوا الجماعات الوحيدة فى هذا الجزء من البلاد الذين لم يرسلوا أية وفود لاستقباله، ولم يظهروا أى احترام بأية وسيلة أخرى لائقة؛ وإن كان السبب الحقيقىّ وراء الاستعدادات هو فى رأيى تعطش الإسكندر الدائم إلى زيادة ممتلكاته. وقد روى أن الإسكندر سمع أن العرب يتعبدون لإلهين اثنين فقط هما يورانوس (Uranus) و ديونيسوس (Dionysus)؛ الأول لأنه يُعتَقَد أنه يحتوى فى داخله على النجوم وعلى الشمس أيضاً، أعظم وأوضح مصدر للخيرات للبشر فى كافة شؤونهم، أما الآخر، ديونيسوس، فبسبب شهرة رحلته إلى الهند. وقد شعر الإسكندر لذلك بأنه لن يكون فيما وراء قدراته أن ينظر إليه العرب على أنه إله ثالث، فى ضوء حقيقة إن إنجازاته فاقت إنجازات ديونيسوس، أو على الأقل فإنه سوف يستحق هذا الشرف إذا ما احتل العرب وسمح لهم، كما فعل مع الهنود من قبل، أن يحتفظوا بنظمهم القديمة. وبالإضافة إلى ذلك فإن ثروات بلادهم كانت حافزاً إضافياً، فالكاسيا فى الواحات، والأشجار التى تنتج البخور والمر، والشجيرات التى تنتج القرفة، والحدائق التى ينمو فيها الطيب من تلقاء نفسه؛ عن كافة هذه الأشياء أخبرته الرواية. كذلك فإن بلاد العرب كانت بلاداً واسعة، فساحلها (كما قيل) لا يقل في طوله عن ساحل الهند، وهناك جزر كثيرة فى مواجهته، وهناك موانئ فى كل مكان ملائمة لرسو أسطوله؛ ولأن تكون مواقع لمستوطنات جديدة يمكن أن تصل إلى درجة عالية من الثروة أو الرخاء.

أما استرابون فقد وردت إشاراته إلى الحملة فى بداية الجزء الذى يتحدث فيه هذا الكاتب إلى جغرافية بلاد العرب وفى نهايته. وتتميز إشارته الأولى إلى دوافع الحملة بأنها تَردُ بين ثنايا مناقشته لأعمال الإسكندر فى جنوب العراق، ويقول فيها:[١١]

قال [الإسكندر] إن السبب فى الحرب هو أن العرب كانوا الأناس الوحيدين الذين لم يرسلوا إليه سفراءهم؛ وإن كان السبب الحقيقىّ هو أن الإسكندر يريد أن يكون سيداً على الجميع. وعندما عرف أنهم يتعبدون لإلهين اثنين فقط، هما زيوس وديونيسوس، اللذان يزودان البشر بأكثر احتياجاتهم فى الحياة أهمية، فقد اعتقد أنهم سوف يعبدونه بوصفه إلهاً ثالثاً إذا ما سيطر عليهم وسمح لهم أن يحتفظوا بتقاليدهم لمتوارثة، كما كانوا يفعلون من قبل.

أما الإشارة الواردة فى نهاية حديث استرابون فتتميز بكونها تعليقاً ختامياً يدلل فيه على أهمية المنطقة وثرواتها الغنية:[١٢]

وفيما يتعلق برخاء بلاد العرب، باستطاعة المرء أن يتخذ حتى من الإسكندر شاهداً على هذا الأمر؛ حيث إنه، كما يقولون، كان يريد أن يجعلها مقراً للحكم بعد عودته من الهند. ومع أن كافة مشروعاته توقفت بسبب وفاته المفاجئة، فإن أحد هذه المشروعات، على أية حال، كان أن يرى ما إذا كان العرب سيستقبلونه طائعين؛ وإذا لم يفعلوا، أن يذهب لقتالهم. وبالنظر فى حقيقة الأمر إلى أنهم لم يرسلوا سفراءهم إليه لا قبل ولا بعد [أىّ: حملته على الهند]، فقد بدأ فى تجهيز حملة عليهم ... .

وبالنظر إلى أن موضوع كتاب أريانوس يدور حول حملات الإسكندر الأكبر وأعماله، يمكننا أن نلحظ – بداهة – السبب فى أن إشاراته إلى بلاد العرب تتميز بأنها أكثر عدداً، وأن حديثه عن مشروعاته فيها يتصف بأنه أكثر تفصيلاً.[١٣] وفيما يتعلق باسترابون فقد عاش الرجل فى القرن الأخير قبل الميلاد، أىّ أنه كان أقرب من أريانوس إلى الأحداث التى يشيران إليها بحوالى قرن ونصف، ولكن تركيزه كان على جغرافية العالم كما عرفها اليونانيون فى ذلك الوقت. ومع ذلك فمن المهم ملاحظة أن كلاً منهما رجع فى معلوماته التى ذكرها عن دوافع الإسكندر

وراء حملته على بلاد العرب إلى المصدر ذاته، وهو كتاب لأحد قادته ومهندسيه، يعرف باسم أريستوبولوس (Aristobulus).[١٤] حقيقة إن أريانوس لا يذكر اسمه عند إشارته إلى هذه الدوافع، ولكنه ذكر صراحة فى مقدمة كتابه، وكرر أكثر من مرة، أن كتابه يعد واحداً من مصدرين اعتمد عليهما بشكل أساسىّ فى دراسته لحملات الإسكندر.[١٥] ولأن اهتمام الكاتب الآخر، وهو بطلميوس (Ptolemaios)؛ كان ينصب بالدرجة الأولى على وصف المعارك وأحداث القتال، فإن أريستوبولوس هو مصدر أريانوس فى وصفه لمسار رحلات الإسكندر، وغيرها من الموضوعات.[١٦] ومما يؤكد أنه مصدر هذه المعلومات أن استرابون يذكر اسمه مرتبطاً بالدوافع ذاتها التى أشار إليها أريانوس، وأن الأخير يذكره بعدها وقبلها مباشرة. وتتضح أهمية المصدر بطبيعة الحال من معاصرة صاحبه للأحداث، ومن مشاركته فيها، الأمر الذى يحتم النظر إلى دوافع حملة بلاد العرب التى ذكرها كل من هذين المؤرخين باهتمام. وأول ما يستلفت الانتباه فى هذه الدوافع هو تعددها وتنوعها، بالمقارنة على سبيل المثال بغيرها التى ارتبطت ببعض أعمال الإسكندر الأخرى عبر مسيرة فتوحاته.

دوافع بعض أعمال الإسكندر :

خرج الإسكندر بقواته فى ربيع عام ٣٣٤ ق.م لمحاربة الإمبراطور الفارسى دارا الثالث بدعوى الثأر لليونانيين من الفرس الذين قاموا بحملة على بلاد اليونان منذ ما يزيد عن قرن ونصف قبل ذلك التاريخ.[١٧] ومنذ ذلك الحين وحتى وفاته فى بابل فى صيف عام ٣٢٣ق.م كان الإسكندر دائم التجوال فى منطقة الشرق الأدنى القديم وما يليها شرقاً، ووصلت حدود إمبراطوريته إلى سمرقند شمالاً، ونهر الهند شرقاً، والمحيط الهندى جنوباً. وكما يتضح من مسيرة حملاته، فإن دافع "الثأر لليونانيين" لا يكفى وحده لتفسير فتوحات هذا القائد؛ وبخاصة بعد أن تمكن من القضاء على الإمبراطورية الفارسية، وبعد وفاة الإمبراطور الفارسىّ فى صيف عام ٣٣٠ق.م. وفى واقع الأمر فإن أريانوس يشير، بالإضافة إلى هذا الهدف

الرئيس وراء الحملات ككل، إلى العديد من الدوافع المرتبطة بأعمال محددة فى أثناء الفتوحات. وفى مجملها فإن هذه الدوافع تنقسم، على أساس السياق الذى وردت فيه، إلى نوعين: أولهما، ما ورد على لسان الإسكندر ذاته فى خطبه إلى جنوده أو مشاوراته مع قادته؛ وآخرهما، ما ورد بشكل تقريرىّ على لسان أريانوس ونسبه إليه. وبينما يمكن ملاحظة أن غالبية الدوافع الواردة بكتاب أريانوس تندرج تحت هذا النوع الأخير، ومن بينها دوافع حملة بلاد العرب، فإنه ينبغى التأكيد على أنها لا تقل أهمية، من حيث دلالاتها التاريخية، عن نظيرتها الواردة فى الخطب والمشاورات.

من ناحية أخرى هناك تفاوت واضح فى طبيعة دوافع أعمال الإسكندر يتناسب من حيث تسلسل الأحداث التاريخية مع انتصاراته المتوالية، ويتوافق مع أثر هذه الانتصارات على شخصيته. ويشكل هذا الموضوع، فى حقيقة الأمر، أحد الأبعاد المهمة التى استلفتت انتباه أريانوس،[١٨] وفيما يتعلق بموضوعنا فإنه يعدّ مدخلاً مهماً لفهم أعمال هذا القائد وبخاصة ما يتعلق منها ببلاد العرب. ويكفى هنا أن نشير إلى بعض الوقائع المحددة لتوضيح هذه النقاط؛ أولها هى موقعة إيسّوس فى جنوب شرق آسيا الصغرى عام ٣٣٣ق.م التى تزودنا بأول مناسبة خطب فيها الإسكندر فى جنوده ليحثهم على الوقوف أمام جيش داريوس، ويمنيهم فى الوقت ذاته بالغنائم التى يمكن أن يحصلوا عليها فى حال انتصارهم عليه. ويتلخص الدافع هنا فى "الحرب من أجل بلاد اليونان،"[١٩] وهو الهدف الذى وُصِفَ بأنه أكثر الأهداف وضوحاً فى أعمال الإسكندر جميعها.[٢٠] أما الموقف الثانى فيأخذنا جنوباً إلى فينيقيا، وكان الإسكندر قد انتصر على داريوس وفتحت له مدن سوريا وفينيقيا الشمالية أبوابها، ما عدا مدينة صور التى رفض أهلها استقباله داخل مدينتهم، وإن كانوا قد أعلنوا استعدادهم لتقديم فروض الطاعة والولاء له. إزاء هذا الموقف أعلن الإسكندر ضرورة فتح المدينة عنوة، وكانت دوافعه وراء ذلك استراتيجية بحتة وتتعدى، كما هو واضح، حدود المكان والمنطقة التى سيدور حولها القتال. لقد

خاطب الإسكندر قادته عندئذ قائلاً:[٢١]

إننى لا أرى وسيلة نستطيع بها مهاجمة مصر طالما أن الفرس يسيطرون على البحر، مثلما أن تعقب داريوس ومدينة صور و[جزيرة] قبرص وراء ظهرنا وفى أيدى أعدائنا سوف يشكل خطورة كبرى، وخاصة فى ضوء الأوضاع فى بلاد اليونان . . . إن احتلال صور يعنى أن كل بلدان فينيقيا سوف تصبح في أيدينا، وكذلك الأسطول الفينيقى الذى يشكل القوة البحرية الرئيسة للفرس . . . [وبعد احتلال فينيقيا وقبرص ومصر] يمكننا عندئذ السير بأمان إلى بابل، ورايتنا عالية، وبلاد الفرس معزولة ليس فقط عن البحر، ولكن أيضاً عن القارة بأكملها حتى نهر الفرات.

وبعد فتح الإسكندر لمدينة صور اتجه جنوباً فى طريقه إلى مصر، إلا أنه اضطر أيضاً إلى مواجهة رفض أهل مدينة غزة استقباله وفتح أبواب مدينتهم له بما واجه به مدينة صور من قبل. ونظراً لأن هذه المدينة العربية كانت تقع على نهاية الطريق التجارىّ الغربىّ الساحلىّ لشبه لجزيرة العربية فإنها كانت مدينة تجارية كبرى ومعروفة لليونانيين منذ عدة قرون خلت.[٢٢] كذلك كانت غزة آخر المدن البحرية فى طريقه إلى مصر؛ وهو ما يبرر أيضاً اهتمامه بفتح المدينة ويوضح إصراره على ذلك.[٢٣] وكما يتبين من دوافعه فإن الأمر قد بدأ يتعلق هنا بمكانة الإسكندر الشخصية بشكل أكثر صراحة من ذى قبل. فعندما عبّر بعض قادته ومهندسيه الحربيين عن صعوبة مهاجمة المدينة التى استعدت للحصار، كان "قوى الاعتقاد فى أنه كلما زادت الصعوبة كان من الضرورىّ مواجهتها؛ لأن نجاحاً يفوق العقل والمنطق سوف يكون ضربة قاصمة لمعنويات الأعداء، مثلما أن الفشل، بمجرد أن يعرف به داريوس (Darius) واليونانيون، سوف يكون ضربة لا تقل خطورة بالنسبة لمكانته هو شخصياً."[٢٤] هناك أيضاً الحديث الذى وجهه الإسكندر إلى قادته ليلة موقعة جوجاميلا عام ٣٣١ق.م، وقارن فيه بينها وبين ما سبقها من مواقع وأحداث. لقد أوضح لهم عندئذ أن "الموقعة المقبلة بينهم وبين الملك الفارسىّ مختلفة عن جميع المعارك السابقة لأنها ليست من أجل احتلال سوريا أو فينيقيا أو مصر؛ ولكنها من أجل سيادة القارة الآسيوية."[٢٥]

ويتبين من مقارنة هذه الدوافع أمران: أولهما، أنها تعكس تطوراً في نظرة الإسكندر الأكبر إلى الأمور يسير في خط مواز مع الانتصارات المتتالية التي أحرزها؛ وآخرهما، أنها تخطت تدريجياً طابعها القوميّ والثأريّ لتكتسب أبعاداً أخرى سياسية واستراتيجية بل وشخصية متعلقة بالإسكندر ذاته. ربما أنه من الصعب أن نحدد بدقة بدايات التحول في تطلعات هذا القائد من مجرد الثأر لليونانيين إلى تكوين إمبراطورية،[٢٦] ولكن دوافع بعض أعماله التي أعقبت القضاء على الإمبراطورية الفارسية تؤكد بوضوح أن فكرة الإسكندر في أن يكون سيداً على إمبراطورية لم تكن لأحد من قبله كانت قد ترسخت في ذهنه بالفعل.

أحد المواقف الدالة على ذلك ما يذكره أريانوس عن رغبة الإسكندر في عبور نهر هيفاسيس في الهند. فعندما وصل بجنوده إلى ضفته الغربية سمع أن "البلاد الواقعة فيما وراء هذا النهر بلاد غنية مثمرة، وأن الناس هناك مزارعون بارعون، وجنود أقوياء، وأنهم يعيشون تحت نظام اجتماعيّ منظم ... وأن الفيلة هناك أكثر عدداً من أي مكان آخر في الهند، وأنها تفوقها حجماً وشجاعة." ويستطرد أريانوس موضحاً أثر هذه المعلومات، ومبيناً أنها لم تفعل سوى أن "حركت شهية الإسكندر لمزيد من الحملات،" ومقارناً بين موقفه وموقف جنوده الذين كان شعورهم مختلفاً تماماً، ولم تعد لديهم أية رغبة في متابعته في حملاته التي لا تنتهي.[٢٧] لقد كان الدافع هنا هو الثروة وإضافة أراض جديدة إلى ما فتحه الإسكندر بالفعل حتى ذلك التاريخ. يتضح ذلك أيضاً من خطبته التي حاول فيها أن يحث جنوده على مواصلة الحملات والتي بدأها بالإشارة إلى أنهم جعلوا من أنفسهم "سادة" لمناطق عديدة، وتعجب بعدها لترددهم في أن يُخضعوا لنفوذ مقدونيا والمقدونيين نهر هيفاسيس والقبائل الواقعة إلى الشرق منه. بعد ذلك حاول الإسكندر إغراءهم بأنهم إذا ما اتبعوا نصيحته، فسوف "تبحر سفننا من الخليج الفارسي إلى ليبيا حتى أعمدة هرقل [أيّ: مضيق جبل طارق]، حيث إن كافة الأراضي الواقعة إلى الشرق من ليبيا سرعان ما ستصبح خاضعة لنا، وكل آسيا

أيضاً، ولن تكون هناك حدود لتلك الإمبراطورية سوى ما وضعه الله من حدود للعالم كله."[٢٨] ربما أن هذه الكلمات تشتمل على قدر من المبالغة المعهودة فى مثل تلك المناسبات، ولكن بعض النقاط الواردة بها لها دلالاتها المهمة فيما يتعلق بفكرة الإسكندر عن حدود الإمبراطورية التى يريد تكوينها ومواردها وكيفية الربط بين أجزائها. وما يعنينا هنا هو أن موارد المناطق التى يسمع الإسكندر عنها قد برزت عندئذ بوصفها دافعاً له لأن يفكر فى فتحها، بالإضافة إلى كونه لم يكن قد أشبع بعد ميله إلى بسط نفوذه وسيطرته، التى جعلها فى خطبته تبعاً لمقتضيات الموقف تتسع لتصبح نفوذ وسلطة المقدونيين جميعاً، على مزيد من البلدان والشعوب.

وتوضح حادثتان أخريان مدى إحساس الإسكندر بمكانته، ووجهة نظره عما تمليه هذه المكانة على حكام المناطق التى يذهب إليها أو يمر بالقرب منها. وتشير الحادثة الأولى إلى مملكة فى جنوب نهر الهند يعرف حاكمها باسم موسيكانوس (Musicanus) أشارت الأخبار إلى أنها واحدة من أغنى الممالك فى الهند. وكان هذا الملك "لم يحضر بنفسه لتقديم آيات الطاعة، ولم يرسل أى سفراء لإقامة علاقات مع الإسكندر، بل تجاهله فى واقع الأمر تماماً، ولم يرسل إليه أية عبارات مجاملة كما يليق بملك عظيم، ولم يتقدم إليه بأىّ طلب." ولذلك فقد سار إليه ووصل إلى حدود مملكته بأسرع مما يتوقع موسيكانوس الذى لم يجد أمامه مفراً من أن يأتى لمقابلته "بكل ما لديه من فيلة، وبالهدايا اللائقة عند الهنود."[٢٩] ويلحظ أريانوس أن الأمر كان مختلفاً فى حالة أوكسيكانوس (Oxycanus) الذى يحكم منطقة تقع بالقرب من الملك السابق، والذى "لم يحاول الاتصال بالإسكندر، سواء بشخصه أو بإرسال وفد يحمل آيات الخضوع." ففى هذه الحالة هاجمه واستولى على مملكته وأخذه هو ذاته أسيراً، واستسلمت المدن الواقعة فى مملكته دون أية مقاومة.[٣٠] ويتضح من هاتين الحادثتين أن الإسكندر كان يتوقع من حكام المناطق التى يمر بالقرب منها أن يظهروا ولاءهم وطاعتهم بشكل أو بآخر، وأنه ما كان يتردد فى محاربتهم إذا ما تقاعسوا عن ذلك.

ويتبين من مقارنة الأعمال التى سبقت الإشارة إليها أنه لا يمكن الاقتصار فى تفسير الكثير منها على دافع بعينه واستبعاد ما عداه. لقد كانت ثروة مملكة موسيكانوس، بالإضافة إلى موقعها على طريق جيش الإسكندر، بدون شك أحد العوامل التى جعلت الأخير يسارع بالمسير إليه.[٣١] والأمر ذاته ينطبق على مملكة أوكسيكانوس. وفى الوقت نفسه فإنه لا يمكن تجاهل تركيز أريانوس على عدم تقديم الاحترام اللائق كسبب للحرب ضد هذين الرجلين؛ خاصة وأنه يقارن بينهما وبين موقف الملك سامبوس (Sambus) الذى يحكم إحدى الممالك الهندية المجاورة لهما، والذى بادر بتقديم فروض الطاعة والولاء للإسكندر بمجرد سماعه باقترابه من حدود مملكته.[٣٢]

دوافع حملة بلاد العرب :

يواجه المرء صعوبة عند محاولته دراسة دوافع هذه الحملة بالمقارنة بغيرها من أعمال الإسكندر. وترجع هذه الصعوبة إلى طبيعة الدوافع ذاتها التى تذكرها المصادر القديمة، بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من اختلاف هذه المصادر بشأن بعضها. فمن ناحية يمكن وصف بعض الدوافع بأنه سياسىّ الطابع، والبعض الآخر بأنه دينىّ، والبعض الثالث بأنه اقتصادىّ. ومن ناحية أخرى يمكن ملاحظة أن بعضها يغلب عليه الطابع الشخصىّ؛ بالإضافة إلى كونها تجمع بين العديد من الدوافع التى شاهدناها منفردة وراء بعض الأعمال السابقة. وإذا ما نظرنا إلى رأى كل من استرابون وأريانوس فى هذه الدوافع وحكمهما عليها، فسوف نلحظ أنه يمكن تقسيمها إلى دوافع حقيقية، وإلى ذرائع مختلقة لشن الحرب. وفى كافة الأحوال، فإن علينا أن نتساءل عن أهمية كل منها بالنسبة للإسكندر، وعن مدى جدّيتها وكونها عاملاً مؤثراً فى الأحداث فى تلك الآونة، كما يلحظ هوجمان (Högmann).[٣٣] وأول ما يستلفت الانتباه فى إشارة المصادر القديمة إلى الموضوع هو أنها تبدأ بالدوافع السياسية، التى أعقبتها بالدافع الدينىّ، ثم الدوافع الاقتصادية. وفى المناقشة التالية سأتبع الترتيب ذاته موضحاً أهمية كل من هذه الدوافع ومدى التداخل فيما بينها.

أولاً: الدوافع السياسية للحملة :

يميز استرابون وأريانوس فى الدوافع السياسية بين ما ذكره الإسكندر كسبب ظاهرى لشن الحرب على بلاد العرب وبين ما يعتقدان، نقلاً عن أريستوبولوس، أنه السبب الحقيقىّ. ويتلخص السبب الظاهرىّ فى أن العرب كانوا الوحيدين من بين كافة الشعوب المعروفة للإسكندر الذين لم يرسلوا إليه سفراءهم ولم يقدموا له فروض الطاعة والولاء، ولم يعبروا له عن احترامهم بأية وسيلة من الوسائل المتاحة فى ذلك الوقت. وبينما يذكر استرابون أن هذا الأمر كان مجرد "سبب" لشن الحرب على العرب، فإن أريانوس يرى فيه "ذريعة" للاستعدادات التى يقوم بها الإسكندر لغزوهم. ويتضح فهمهما هذا من زاويتين: أولاهما، هى الكيفية التى يقدمان بها الموضوع،[٣٤] وأخراهما، هى استدراكهما ووصفهما للدافع الآخر بالحقيقىّ، وإن اختلف أسلوبهما فى التعبير عنه. فبينما يقول استرابون "ولكن السبب الحقيقىّ أنه يريد أن يكون سيداً على الجميع،"[٣٥] فإن أريانوس يشير إلى الأمر ذاته قائلاً: "ولكن السبب الحقيقىّ، كما يبدو لى، كان تعطش الإسكندر الدائم إلى زيادة ممتلكاته."[٣٦] ومن الطريف أن نلحظ أن هذه المقارنة بين دوافع ظاهرية وأخرى حقيقية لم نشهدها من قبل فى مناقشة أريانوس لأعمال الإسكندر سوى فى حالة الاسكيثيين الأوربيين (سكان شمال القوقاز). فعندما وفدت مجموعات منهم لمقابلته، "أمر الإسكندر مجموعة بعينها من رفقائه بالعودة مع السفراء؛ ظاهرياً، لكى يعقدوا معاهدة صداقة رسمية معهم، بينما كان هدفه الفعلى هو جمع معلومات عن اسكيثيا- عن سماتها الجغرافية وعادات أهلها وأعدادهم وآلاتهم العسكرية."[٣٧] وبالمقارنة بين هذه الحالة وبلاد العرب يتضح أنه ليس هناك تفاوت بين السببين الظاهرىّ والحقيقىّ فى حالة الأخيرة، بل إنه يمكن اعتبارهما، كما سنرى، وجهين لعملة واحدة.

أ) عدم إرسال العرب للسفراء :

تصدر هذا الدافع من حيث الترتيب كافة الدوافع الأخرى، وهو ما جعل أحد الدارسين يشير إليه بوصفه "سبباً خاصاً"، أو السبب "الرسمى" المعلن للجيش وراء الحرب.[٣٨] ومن ناحية أخرى اتبع الكثيرون أريستوبولوس فى التقليل من شأنه لأن يكون دافعاً مؤثراً وراء الحملة.[٣٩] وفى تقديرى فإن مواقف بعض ملوك الهند التى سبقت الإشارة إليها توضح مبدئياً أهمية السفراء بالنسبة للإسكندر، أو بمعنى آخر أهمية تقديم فروض الطاعة والولاء له من جانب حكام المناطق التى يمر بها. كذلك باستطاعتنا أن نضيف أن هذه الأهمية قد ازدادت كثيراً بعد عودته سالماً إلى بابل، وبعد أن أتت إليه وفود عديدة لتهنئته بهذه المناسبة. ويستلفت الانتباه فى إشارة المصادر القديمة إلى هذا الحدث أن الوفود أتت إلى الإسكندر تقريباً من كافة أرجاء العالم القديم، وأنها أتت لأغراض متعددة، وأنها جميعها كرمته وأقرت بمكانته.[٤٠] وعلى سبيل المثال فإن أريانوس يشير إلى هذه الأحداث، قائلاً:[٤١]

وفى طريق عودة الإسكندر إلى بابل قابلته وفود من ليبيا وقدمت له التاج إقراراً منهم بسيادته على آسيا، ووصلت أيضاً وفود من إيطاليا . . . وأتت وفود أخرى من . . . وجميعهم يطلبون صداقة الإسكندر . . . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها اليونانيون والمقدونيون بأسماء هؤلاء الناس ويرون فيها أزياءهم الغريبة وأدواتهم غير المألوفة. وقد ذُكر لنا أنهم التمسوا من الإسكندر أن يفصل فى نزاعاتهم الداخلية، وكانت النتيجة أنه وأصدقاءه شعروا أنه حقيقة سيد على كافة الأراضى والبحار.

ويشير كاتب آخر إلى هذه الوفود بتفصيل أكبر، قائلاً:[٤٢]

جاءت الوفود فى بعثات عديدة تقريباً من كافة أرجاء العالم؛ بعضهم ليهنئ الإسكندر على انتصاراته، والبعض الآخر حاملاً التيجان، والبعض الثالث لعقد اتفاقيات صداقة وتحالف . . . وقد أحضر الكثيرون هدايا رائعة . . [وبعد أن يذكر المناطق التى أتت منها الوفود] . . وقد أعد الإسكندر قائمة بالبعثات ووضع جدولاً لمقابلة الجماعات التى سيعطيها رداً أولاً ثم بعدها الجماعات الأخرى بالترتيب. وقد قابل أولاً الجماعات التى أتت بشأن موضوعات دينية، وثانياً الجماعات التى

أحضرت هدايا، وبعدها الجماعات التى لديها مشكلات مع جيرانها، ورابعاً الجماعات التى لديها مشكلات خاصة، وخامساً الجماعات التى تريد عرض وجهة نظرها المتمثلة فى رفض عودة المنفيين السياسيين. وفى كل الحالات فقد بذل ما فى وسعه لإعطاء ردود مرضية وصرف الجميع راضين قدر استطاعته.

وكما هو واضح فإن هناك بعض الاختلافات فى كل من هاتين الروايتين، فبينما يتوقف أريانوس عند أثر هذه الوفود على الإسكندر وأصحابه، فإن ديودوروس يركز على النظام الذى وضعه الإسكندر لمقابلتها. من ناحية أخرى فإنهما تّجمعان على أن الوفود أتت تقريباً من كافة أرجاء العالم، ولا تتضمنان أية إشارة إلى عدم إرسال العرب وفداً لمقابلته، الأمر الذى يعد غريباً بشكل خاص بالنسبة لرواية أريانوس. ومع ذلك فإن النظام الذى وضعه الإسكندر لمقابلة الوفود أتاح له أن يتعرف بدقة على أولئك الذين أتوا لتكريمه. وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن بعض هذه الوفود أتت من إسبانيا وأقصى الغرب، عندئذ سيصبح تخلف العرب، الذين كان الإسكندر عندئذ على حدود بلادهم، عن إرسال السفراء كما فعل الآخرون أمراً ملفتاً للانتباه.[٤٣]

وبالنظر إلى أن الهدف المشترك بين غالبية هذه الوفود هو تقديم فروض الطاعة والولاء من جانب البعض وعقد صداقة من جانب البعض الآخر، وإلى أنها أتت من تلقاء نفسها وليس بناء على دعوة من جانب الإسكندر، فإن عدم مبادرة العرب القيام بأى من هذين الأمرين يمكن تفسيره بسهولة على أنه إهانة لهذا القائد تتطلب الرد عليها لسببين. السبب الأول هو شخصية الإسكندر التى يستثيرها التحدى ولا تقبل الإهانة، كما يدل على ذلك العديد من المواقف التى يوردها أريانوس، والتى من بينها موقفه من سكان صخرة سوجديانا شمال العاصمة الفارسية، التى أصر على الاستيلاء عليها مهما كلفه ذلك. وكان أهلها قد تحصنوا بالتل المشرف على المنطقة، ورفضوا أن يتخلوا عن الصخرة رغم محاولاته التفاوض معهم، مغترين بأنه لم يسبق لأحد من قبل أن تمكن من مهاجمتها. وقد أساءوا إليه" عندما أخبروه بلغتهم الغريبة أن عليه أن يحصل على جنود بأجنحة"

إذا ما كان يريد أن يستولى على صخرتهم.[٤٤] ويتعلق السبب الآخر بالحفاظ على الإمبراطورية؛ فلا شك فى أن ما فعله العرب كان أمراً ملحوظاً من قبل الجماعات الأخرى، وبخاصة اليونانيين والمقدونيين. ولكى لا تتكرر الإهانة، ولكيلا يجسر أحد من أتباعه ويحاول الخروج عليه، فقد كان لا بد من القيام بعمل ما ضد العرب. وبهذه الكيفية فإن دافع عدم إرسال السفراء يتوافق مع إحساس الإسكندر الذى أشار إليه أريانوس بأنه أصبح سيداً على العالم، ويكتسب الأمر بعداً جديداً من إشارة استرابون إلى أن العرب لم يرسلوا سفراءهم "لا قبل ولا بعد" حملته على الهند.

ويتبقى هنا أن نشير إلى ما يقصده الإسكندر بكلمة العرب، وأن نفسر ما يعنيه استرابون بقوله "لا قبل ولا بعد". حقيقة إن معلومات اليونانيين عن بلاد العرب وجغرافيتها كانت محدودة حتى حملات الإسكندر، ولكن معلوماتهم عن سكانها فى تلك الآونة كانت تكفى لجعلهم يدركون أنها تشتمل على فئتين مختلفتين من السكان. إحدى هاتين الفئتين هى القبائل البدوية المقيمة فى بادية العراق والشام وفى امتداداتها الصحراوية فى المنطقة وفى قلب الجزيرة، وهى جماعات لا يوجد ما يدل وقت مجيء الإسكندر على أنها كانت تنتظم فى تكوينات سياسية قوية يمكن أن تشكل تهديداً له، أو أن يشكل امتناعها عن إرسال بعض الوفود لتكريمه أمراً يجعله يبذل الجهد الذى تشير إليه المصادر فى سبيل إخضاعها.[٤٥] يدل على ذلك موقف الإسكندر من بعض هذه الجماعات التى هاجمته من قبل فى منطقة جبال لبنان فى أثناء سيره متجهاً إلى صور؛ لقد تتبعها وفى خلال "عشرة أيام جعل من نفسه سيداً على المنطقة سواء بالقوة أو بعقد اتفاقيات."[٤٦]

أما الفئة الأخرى فهى سكان المدن والمناطق الحضرية الذين يعمل بعضهم بالتجارة، وهذه كانت تقيم بالضرورة بالقرب من السواحل وفى المدن المهمة على الطرق التجارية المارة بالمنطقة وعلى حدودها. ونظراً لأن معلومات اليونانيين عن العرب قبل مجيء الإسكندر كانت مستمدة من كتاب هيرودوتوس عن الحروب

الفارسية التى حارب فيها العرب إلى جانب الفرس ضد اليونانيين، فإنها كانت تركز بشكل أساسى على الأنباط المقيمين فى جنوب فلسطين.[٤٧] ولكن هذه المعلومات ازدادت إلى حد كبير بعد مجيئه إلى المنطقة وفتحه لغزة، كما شهدنا من قبل، وبعد انضمام أعداد من الفينيقيين إلى جيشه.[٤٨] فطوال القرون السابقة كان هؤلاء الفينيقيون يقومون من قبل بدور الوساطة التجارية بين السبئيين والمعينيين فى جنوب الجزيرة وبين اليونانيين شمال البحر المتوسط، وعن طريقهم انتقلت المواد التجارية ومعها بعض المعلومات عن العرب.[٤٩] وهكذا فإن العرب الذين يعنيهم الإسكندر، بداية،[٥٠] والذين ربما يعنيهم استرابون بقوله إنهم لم يرسلوا إليه سفراءهم قبل ذهابه إلى الهند، هم سكان جنوب غرب شبه الجزيرة وهى المنطقة التى عرفها اليونانيون بعد ذلك باسم بلاد العرب السعيدة، والتى كان ثراؤها وترف أهلها مضرب الأمثال فى العصور القديمة.[٥١]

ومع ذلك يمكن أيضا أن نؤكد أن مفهوم الكلمة قد اتسع بعد عودة الإسكندر إلى بابل ليشمل أيضا سكان السواحل الشرقية لشبه الجزيرة. لقد كان أسطول الإسكندر أقرب ما يكون إلى هذه السواحل فى أثناء عودته من الهند، عند مضيق هرمز، حتى أن بعض بحارته فكروا فى العبور إليها.[٥٢] ولا شك فى أن معلومات اليونانيين عن العرب ازدادت كثيرا فى تلك الآونة؛ نظرا لوجود بعض القادة والجنود اليونانيين الذين أقامهم الإسكندر فى فينيقيا وغزة وفى بلاد الرافدين فى أثناء الأعوام التى قضاها فى الشرق، وبفضل الاحتكاك المباشر بينهم وبين سكان هذه المناطق. يتضح ذلك من إشارة استرابون إلى أعمال الإسكندر المتعلقة بالرى ومجارى الأنهار فى جنوب العراق التى يبين فيها أنه كان يقوم بهذه الأعمال بهدف "ألا تصبح بلاد العرب بعيدة المنال؛"[٥٣] حيث إن السدود والمستنقعات الموجودة بالمنطقة تشكل عائقا أمام انتقال جيوشه البرية وأمام الملاحة فى الوقت ذاته. كذلك فإن إشارة أريستوبولوس[٥٤] إلى بابل حيث يأتى العرب بسفنهم بالمواد العطرية وغيرها من المنتجات ليتاجروا فيها، توضح أن المقصود هنا هم سكان

السواحل الشرقية. وهكذا فإن كلمة العرب تشير أيضاً بالنسبة للإسكندر إلى أولئك المقيمين فى المدن العربية الموجودة على الساحل الشرقى ومنها مدينة ثاج،[٥٥] وجرها التى كانت أشهر المراكز الحضرية والتجارية فى شرق الجزيرة فى تلك الآونة.[٥٦] وربما كانت الجماعات العربية المقيمة بهذه المدينة تحديداً هى التى يعنيها استرابون بإشارته إلى العرب الذين لم يهتموا بالحضور لمقابلته بعد عودته من الهند.

ب) الرغبة فى سيادة العالم :

يتصف هذا الدافع من وجهة نظر استرابون وأريانوس بأنه الدافع الحقيقىّ وراء ترتيبات حملة الإسكندر على بلاد العرب، ويتمثل فى رغبته فى أن يزيد ممتلكاته أو أن يكون "سيداً على العالم،" أو "سيداً على الجميع". كذلك فقد وصف أيضاً مؤخراً بأنه "الأساس فى الدوافع الحقيقية لغزو الإسكندر لبلاد العرب،"[٥٧] وبأنه دافع "أيديولوجىّ،"[٥٨] وفى الحالتين فإنه يمكن أن يعبر عن توجه الإسكندر الفكرى فى تلك الآونة ونظرته إلى مكانته، وتجاه أية فتوحات جديدة محتملة أو أية معارضة يمكن أن تواجهه فى حكم أىّ من المناطق التى فتحها.

إن حدود هذه المقالة لا تسمح بالدخول فى تفصيلات فكرة "سيادة العالم" أو فكرة "الإمبراطورية"، ولا فى مدى تأصل هذه الفكرة وواقعيتها فى الوقت ذاته. كذلك فإنه لا يمكن التطرق هنا إلى أثر التغيير فى منهج الكتابات التاريخية فى القرون التى أعقبت الإسكندر على صورته وأعماله، عندما اتجهت هذه الكتابات إلى التركيز على "الشخصيات" و "المدن"، بدلاً من التركيز على الأحداث.[٥٩] ومع ذلك فمن المهم أن نلحظ أثر أعماله فى تطوير هذه الفكرة، وأن نلحظ أيضاً أثرها على المحيطين به، وفيما يتعلق بموضوعنا، أن نتوقف عند أثرها على مشروعاته وارتباط ذلك كله بحملة ببلاد العرب. وكما لاحظ الدارسون من قبل فإن هناك بعض المواقف والأحداث التى توضح الكيفية التى تطورت بها نظرة الإسكندر إلى مكانته. ويعود بنا أول هذه المواقف إلى عام ٣٣٤ق.م، عندما عبر بقواته مضيق

الدردنيل متجهاً إلى آسيا الصغرى بوصفه "ملكاً على مقدونيا وقائدا لحلف كورنثه."[٦٠] أما الموقف الثانى فيرتبط بانتصاره فى موقعة جوجاميلا وما أعقبها مباشرة من أحداث. لقد كان واضحاً بعد هذا الانتصار أن الإمبراطورية الفارسية فى طريقها إلى الزوال، وتأكد ذلك بعد دخول الإسكندر عاصمتها بعد ثلاثة أشهر، وبعد مقتل الإمبراطور الفارسى. وتصور الألقاب التى حملها الإسكندر فى ظل هذه الأحداث نظرته إلى مكانته الجديدة التى أصبح بمقتضاها "ملك آسيا."[٦١] حقيقة إن بعض المصادر القديمة تشير إلى أنه بدأ يرى نفسه بهذه الصفة فى أعقاب موقعة إيسوس، كما سبقت الإشارة، ولكن ما يعنينا هنا أن هذه الصفة قد أصبحت واقعاً ملموساً بعد انتصاره فى جوجاميلا ، وظهرت بدرجة أكبر من الوضوح بعد دخوله العاصمة الفارسية.

ويتمثل الموقف الثالث فيما قام به الإسكندر فى العاصمة الفارسية من تسريح جنود الحلفاء اليونانيين وإعادتهم إلى بلادهم. ويُفَسَّر هذا العمل، عادة، بأنه كان إعلاناً من جانبه بانتهاء الحرب ضد الفرس وبأن الهدف الذى خرج من أجله إلى بلاد اليونان قد تحقق.[٦٢] وبالنظر إلى أنه كان يحمل عندئذ لقب "ملك آسيا،" فإن أية فتوحات جديدة كانت لا بد وأن تعدل بالضرورة من هذا اللقب. ولهذا فإن الدارسين يلحظون تأرجح الإسكندر بعد ذلك التاريخ بين مفهوم "الملك" و "الفاتح".[٦٣] وبطبيعة الحال فإن هناك فارقاً جوهرياً بين المفهوم الأول الذى كان محدد المعالم بالمناطق التى يشير إليها اللقب، وبين المفهوم الأخير الذى كان غير واضح لكثير ممن يحيطون بالإسكندر ذاته حتى عام ٣٢٦ق.م، عندما ثار جنوده يريدون العودة إلى بلاد اليونان. لقد اضطرته هذه الثورة إلى الإفصاح عن طبيعة مشروعاته، ومن ناحية أخرى إلى تغيير اتجاه الفتوحات. وبالنظر إلى الممالك التى فتحها والولايات التى أصبحت تابعة له والممتدة إلى نهر الهند شرقاً، بعد قضائه على الإمبراطورية الفارسية، فإن الإسكندر كان يشعر بالضرورة عند عودته إلى بابل أنه حقق ما لم يحققه أحد من حكام العالم الذين سبقوه، يونانيين كانوا أم من الفرس. ويتضح ذلك بشكل خاص من حديثه إلى جنوده عندما تمردوا

ويتضح ذلك بشكل خاص من حديثه إلى جنوده عندما تمردوا للمرة الثانية في صيف عام ٣٢٤ق.م. لقد بدأ هذا الحديث بالإشارة إلى الميراث الذى تركه له والده وكيف أنه زاد عليه، ثم عدد بالتفصيل الملوك الذين انتصر عليهم والولايات التى فتحها، واختتم حديثه بأن أكد أنه لا يوجد من بين البشر من حقق مثل إنجازاته، عندما أوضح أنه لم يعبر المناطق التى ذهب إليها أحد من قبل "سوى الإله ديونيسوس."[٦٤]

ويدعم هذا الإحساس، من الناحية الموضوعية - بالمقارنة بإحساس الإسكندر بذاته - الموقف الأخير الذى نشير إليه بهذا الخصوص، وهو مجيء الوفود لتكريمه فى بابل. لقد سبقت الإشارة إلى دلالات هذا الأمر فى معرض الحديث عن الدافع السابق، ولهذا فإنه يكفى هنا أن نؤكد ثانية على أن إحساس المحيطين به بأنه "سيد على كافة الأراضى والبحار" أصبح يتوافق عندئذ مع إحساسه هو بذاته، وأنه كان أمراً معترفاً به من كافة الوفود التى أتت لتكريمه. ومع ذلك، فإن حمل الإسكندر لهذا اللقب أمر يختلف بالضرورة، من وجهة نظره، عن مسألة الحفاظ عليه؛ على الأقل كما يتبين من إشارة المصادر القديمة إلى مشروعاته. ويذكر أريانوس فى بداية الكتاب السابع أن هذه المشروعات أبعد ما تكون عن الوضوح وأن الكتاب القدامى أنفسهم يختلفون بشأنها، وهو ما يعد دليلاً فى حد ذاته على أنه كان يفكر فى جعل هذه السيادة واقعاً ملموساً بالنسبة لبعض المناطق الأخرى فى العالم القديم. ويقول أريانوس إن بعض الكتاب يذكرون أنه:[٦٥]

كان ينوى أن يبحر حول بلاد العرب وإثيوبيا وليبيا فيما وراء مناطق الرعاة وجبال أطلس إلى أغادير والبحر المتوسط؛ وهكذا يمكن له، بعد أن يضيف ليبيا وقرطاجة إلى فتوحاته، أن يدعى لنفسه بكل جدارة لقب ملك كافة البلاد الآسيوية. . . [وبعد أن يشير إلى اختلاف الكتاب بشأن مشروعاته] . . . وبالنسبة لى فليست لدى أية معلومات أستطيع أن أستنتج منها بدقة ما كان ينتويه الإسكندر، ولا أجرؤ أيضاً على القيام أية تخمينات؛ ومع ذلك فإن هناك شيئاً واحداً أشعر أننى أستطيع قوله دون خوف من أن أناقض نفسى وهو أن خططه، أياً كانت طبيعتها، ما كانت لتفتقر إلى العظمة والطموح. فما كان بالذى يركن إلى الدعة والاستمتاع

بأى من فتوحاته حتى لو امتدت إمبراطوريته من آسيا إلى أوروبا ومن أوروبا إلى الجزر البريطانية. وعلى العكس من ذلك فإنه كان سيواصل البحث بعدها عن أراضى جديدة.

ودون الخوض فى طبيعة مشروعات الإسكندر ومدى صحة المصادر التاريخية بشأنها،[٦٦] فإنه يكفى أن نلحظ، على أساس ما يشير إليه أريانوس الذى يعد كتابه من أهم الكتب عن الإسكندر وأوثقها، أن إحساسه بمكانته، الذى كان محصلة لما قام به قبل عودته إلى بابل من أعمال، قد تحول عندئذ ليصبح دافعاً له للقيام بمزيد من الفتوحات. ربما أننا لا نستطيع، كما هو الحال تماماً مع هذا المؤرخ القديم، تحديد طبيعة مشروعاته بدقة؛ ولكن الحملة على بلاد العرب التى كان يشرف على ترتيباتها قبل وفاته كانت أول هذه المشروعات التى يمكن أن تدعم نظرته إلى مكانته الجديدة، وتؤكد فى الوقت ذاته نظرة الآخرين، أو على الأقل نظرة أتباعه، إليه بوصفه "سيد على كافة الأراضى والبحار؛" خاصة وأن العرب كانوا الوحيدين الذين لم يرسلوا سفراءهم، ولم يقروا مثل غيرهم بمكانته.

ثانياً: الدافع الدينى للحملة :

يتمثل الدافع الثالث الذى يشير إليه استرابون وأريانوس فى رغبة الإسكندر فى أن يُكَرّم بواسطة العرب بوصفه إلهاً. وقد تفاوت الدارسون لهذا الدافع بين رافضة له،[٦٧] وبين مؤكد على أنّ "الإسكندر ذاته شعر أنه مدفوع للحرب بفكرة [الحصول على] تشريفات إلهية من جانب العرب."[٦٨] وفى الحقيقة فإن العديد من أعمال الإسكندر -التى تتداخل فيها الأبعاد السياسية والدينية، وفى مقدمتها أعماله بوصفه ملكاً على مقدونيا،[٦٩] تساعدنا على النظر إلى هذا الدافع الدينىّ فى ضوء الدوافع السياسية السابقة، وعلى التعرف على مقومات شخصية الإسكندر فى تلك الآونة. وكما هو الحال مع دافع "سيادة العالم،" فإن مناقشة فكرة الألوهية عند هذا القائد أكبر من أن تتسع لها صفحات هذه المقالة، نظراً لتشعب الدارسين بشأن دلالاتها، وتفاوتهم الواضح فى تفسير المصادر القديمة. ومع ذلك، فإنه يجب أن

نعرض هنا باختصار إلى بعض الأمور لتوضيح أهمية البعد الدينيّ بالنسبة للإسكندر، وفيما يتعلق بموضوع الحملة على بلاد العرب، لبيان أهمية دافع الألوهية ومدى ارتباطه بالدوافع السياسية السابقة.

لقد أشار فيلكن (Wilcken) منذ ما يزيد عن سبعة عقود مضت إلى أن التركيز على الدوافع السياسية وراء رغبة الإسكندر فى الحصول على مظاهر تشريف إلهية يجعلنا نسيء فهم جانب مهم من شخصيته. وكان نقده هذا موجهاً بالدرجة الأولى إلى تارن (Tarn)، الذى وصفه البعض قرب تلك الآونة بأنه "أعظم مؤرخى الإسكندر فى القرن العشرين،" والذى يرى أن التأليه كان لهدف سياسى يتمثل فى إضفاء الشرعية على القرار الخاص بعودة المنفيين السياسيين إلى بلاد اليونان: لقد تخطى الإسكندر بهذا القرار الذى يتدخل فى الشؤون الداخلية للمدن اليونانية سلطاته الممنوحة له بوصفه قائداً للحلف الهلينيّ، وكان بحاجة إلى سلطة أكبر من ذلك لإجبارها على تنفيذه؛ فما كانوا سيعترضون عليه من بشر لن يجرؤوا على الاعتراض عليه إذا ما كان صادراً عن إله.[٧٠] وفى الحقيقة فإن نظرية تارن تعتمد إلى حد كبير على صمت المصادر، الذى فسره البعض بأن الإسكندر لم يطلب تأليهه صراحة بقرار رسميّ، بل عبر فقط عن رغبته فى ذلك.[٧١] وعلى أية حال، فقد ردّ فيلكن على هذه النظرية موضحاً أن الإسكندر لم يكن بحاجة إلى مثل هذه الخطوة وأن نفوذه السياسيّ فى حد ذاته، وكما يتضح من بعض الأحداث السابقة، كان قد وصل إلى درجة لا يمكن لأحد معارضته فيها.[٧٢]

وهكذا، فإن غالبية الدارسين ينقسمون فى نظرتهم إلى هذا الموضوع إلى مجموعة ترى دافعاً سياسياً[٧٣] وراء ألوهية الإسكندر، ومجموعة أخرى ترى دافعاً دينياً.[٧٤] وهناك أخيراً قلة ترفض فكرة سعى الإسكندر إلى الألوهية بين المقدونيين من أساسها بدعوى أنه لا يوجد فى المصادر المعاصرة للأحداث ما يدعمها. ويلخص بولسدن (Balsdon)[٧٥] رأى هذه المجموعة عندما يؤكد على تفسير تاريخى خالص لبعض الإشارات التى يفسرها الآخرون تفسيراً دينياً، وعندما يؤكد على أن

الإسكندر لم يتأثر بالأفكار السياسية والفلسفية السائدة وقتها عن تشبيه الحكام بالآلهة، كما يعتقد الآخرون. ويتضح موقفه هذا من إشارته إلى فكرة باحث ثالث يشترك معه فى الرأى، هو هوجارث، ومن قوله فى نهاية مقالته إنه: "لا يوجد أى سبب على الإطلاق، مع قدر من الأدلة أقل من أن يدعم الافتراض، يحتم على المرء أن يرى فى ذلك [أىّ: موضوع الألوهية] سوء تدبير من جانب الإسكندر ذاته."[٧٦]

وعلى ما يبدو فإن قدراً من هذا التفاوت يرجع أيضاً إلى محاولة الدارسين تفسير ألوهية الإسكندر ودوافعها فى ضوء أحداث بعينها. ولهذا فإن دراسة إدْمونْدْس (Edmunds) التى ناقشت الموضوع فى إطار أكبر، ومع مراعاة الظروف التاريخية التى مر بها الإسكندر، تبدو مقنعة أكثر، من حيث إنها توضح بشكل منطقىّ أثر هذه الظروف على فكره الدينى وعلى نظرته الخاصة إلى أعماله، وكيف أنها تساوت مع أعمال بعض الأبطال والآلهة الذين تشير إليهم الأساطير اليونانية. وتبدأ هذه الدراسة بتوضيح أن عام ٣٣٠ق.م، الذى دخل فيه الإسكندر العاصمة الفارسية والذى سبقت الإشارة إلى أنه يمثل منعطفاً مهماً فى مكانة الإسكندر السياسية، يمثل نقطة تحول فى مسار حملاته من "حملات هللينية مقدونية إلى حملات شخصية بطولية،" وأنه تبدأ معه "المرحلة البطولية."[٧٧] وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن الإسكندر، كما وصفه أريانوس،[٧٨] كان "أكثر الناس اهتماماً بالآلهة،" وأنه كان يعتقد اعتقاداً قوياً منذ طفولته فى تميزه وبطولته، فسوف يصبح من اليسير عندئذ أن نلحظ استعداده لأن يرى فى نفسه، مع مرور الوقت، "روحاً إلهية" يمكن أن ترفعه فوق بقية البشر.[٧٩] وهنا يجب أن نتذكر أن الحدود بين البشرية والألوهية فى العقيدة اليونانية لم تحل دون التواصل بين هذين المستويين، ولا دون أن يتخطاها البشر إلى حدود أعلى.[٨٠] فالأساطير اليونانية مليئة بقصص التزاوج بين الآلهة وبين البشر، وبقصص البشر الذين وصلوا إلى مرتبة أنصاف الآلهة؛ كما أن اليونانيين أنفسهم كانوا يعتقدون أن التميز الذى يجعل من صاحبه "ظاهرة"

فى أى مجال من مجالات الحياة، حتى فى الأدب والفلسفة، يمكن أن يرفعه بعد مماته إلى مرتبة إلهية؛ وقد كانت هناك نماذج حقيقية من القرن السابق للإسكندر لأناس وصلوا إلى هذه المرتبة أو قريباً منها فى العالم اليونانى.[٨١]

وهكذا فإنه يجب النظر إلى فكرة الإسكندر تجاه الألوهية فى ضوء هذه الخلفية الدينية، وبالإضافة إلى ذلك، فى ضوء نتائج أعماله كما شعر هو ذاته بها، وكما شعر بها الآخرون (الذين اشتملوا، كما سنرى، على شعوب لها عقيدتها الدينية المختلفة عن اليونانيين، فيما يتعلق بمسألة ألوهية الحاكم). ويساعدنا الإسكندر ذاته على تقدير أعماله من منظور دينى من خلال اهتمامه بالوفاء بمتطلبات دوره كملك وكاهن، ومن خلال اهتمامه بالتشبه بالأبطال والآلهة. ومن المهم هنا أن نلحظ التوافق بين مراحل بعينها فى مسيرة فتوحاته وبين محاولاته التشبه بواحد أو آخر من هؤلاء الأبطال والآلهة. لقد كانت البداية متواضعة نوعاً ما وربما أن السبب فى ذلك يرجع إلى أنها كانت فى طفولته؛ نظراً لأن البطل الذى تشبه به عندئذ كان أخيليوس الذى قتل فى أثناء الحروب الطروادية.[٨٢] وبعد ذلك تشبه الإسكندر بجده الأسطورى البطل هرقل، وقد سبقت الإشارة إلى الصخرة التى تمكن من الاستيلاء عليها والتى استعصت على هذا البطل. إلى هنا ومحاولاته تقتصر على أنصاف الآلهة، أو البشر المؤلهين، ولكنه كان ما يزال عندئذ فى حدود الإمبراطورية الفارسية. وفى تطور مواز لما شاهدناه فى إحساسه بسيادته على العالم مع مجىء الوفود، نستطيع أن نلحظ بعد عودته إلى بابل تطوراً فى تقديره لأعماله من منظور دينى جعله يفكر فى مقارنة نفسه عندئذ بإله كامل الألوهية ووافد من الشرق إلى بلاد اليونان، هو الإله ديونيسوس.[٨٣] وقد دعم ذلك الإحساس لديه مروره فى أثناء حملته على مدينة نيسا التى أسسها هذا الإله، والتى أسعده أن يمر بها وأن يتخطاها، مما جعله يشعر عندئذ أن "المقدونيين سوف يوافقون على تحمل المصاعب معه أكثر قليلا متى عرفوا أنهم ينافسون ديونيسوس."[٨٤]

لقد كانت هذه المقارنات، بطبيعة الحال، نتيجة لمسيرة انتصارات الإسكندر التى لم تصاحبها هزيمة واحدة. ولكنها كانت تستند إلى واقع دينى، ومن ناحية أخرى دعمتها عقائد بعض الشعوب التى قابلها فى مسيرة حملاته، والتى تسمح بتأليه الحاكم. ربما أن بعض الدارسين يختلفون فى تحديدهم لأهمية بعض أحداث الحملات بوصفها نقاط تحول فى إحساس الإسكندر بصفة إلهية فى أعماله طبقاً للعقائد اليونانية، ولكن عقائد هذه الشعوب كانت ولا شك دافعاً له لأن يحاول فيما بعد تأليه نفسه فى حياته بالمخالفة للأعراف اليونانية. وعلى سبيل المثال فإن أول المواقف التى أثرت عليه فى هذا الاتجاه ما حدث فى نبوءة آمون فى سيوه، عندما ناداه الإله آمون "يا بنى".[٨٥] كذلك فقد أُسْبغت عليه مظاهر تشريف إلهى فى طريقه إلى الهند عندما مر بمدينة نيسا التى أتى منها وفد للترحيب به، وقارن أهلها بينه وبين الإله ديونيسوس مؤسس مدينتهم.[٨٦] ولهذا فليس بغريب أن يكون أحد المواقف التى يشير إليها الدارسون عادة فى مناقشتهم لألوهية الإسكندر قد حدث فى مدينة باكتيريا عام ٣٢٧ق.م، ويتعلق بمحاولته جعل اليونانيين يتقبلون أسلوب الفرس فى تعظيم ملوكهم بالسجود أمامهم.[٨٧]

وتعكس تفسيرات الدارسين لهذه الحادثة أيضاً مدى تفاوتهم بشأن سعى الإسكندر إلى ألوهية، فبينما يرى البعض أن محاولته فيها كانت تهدف إلى التوفيق بين عادات اليونانيين والفرس،[٨٨] يرى البعض الآخر فيها محاولة جادة من جانبه للتمهيد لتأليهه، لم تكلل بالنجاح.[٨٩] وفى الحقيقة فإن هذه الحادثة تشتمل على أمرين فى وقت واحد: اقتراح السجود له من قبل اليونانيين، ومناقشة تأليه الإسكندر فى حياته. وعلى الرغم من أن تكريم الملوك الفرس بالسجود أمامهم كان حركة خالية من أية دلالات دينية،[٩٠] إلا أنه لم يكن كذلك عند اليونانيين الذين كانوا يرون فيه دليلاً على عبودية الفرس وأنه لا يليق إلا بالآلهة.[٩١] وكان هذا دافعاً لأن يرفض بعض رفقاء الإسكندر الفكرة من أساسها، وأن يتسع هذا الرفض ليشمل اقتراح تأليهه فى حياته؛ على الرغم من أن أعماله فى تلك الآونة كانت قد ضمنت له الألوهية بعد مماته.

ومع شخصية تسعى دائماً إلى التميز ولا تقبل التحدى، مثل شخصية الإسكندر، يمكن أن ندرك أن رفض الفكرة فى تلك الآونة لم يكن ليعنى القضاء عليها تماماً؛ بل ويمكن أن نخمن أن انتصاراته فى الأعوام التالية لم تزده إلا إصراراً عليها. ربما أن مناقشة موضوع الألوهية لم تتكرر بعد ذلك بالكيفية التى حدثت فى باكتيريا، ولكن قضاءه على أهم المعارضين للفكرة، والذى كانت حجته داحضة أمام المؤيدين لها عندئذ،[٩٢] يدل بشكل واضح على أن الإسكندر الذى ما كان ليقبل معارضة فى أى موضوع آخر كان أكثر ما يكون رفضاً لها، عندما يتعلق الأمر بموضوع يستأثر باهتمامه بشكل شخصىّ بهذا القدر. يتضح ذلك بشكل خاص مما حدث عند وفاة هيفايستيون (Hephaestion)، أقرب أصدقائه إليه والرجل الذى كان يحبه "أكثر من أى شخص آخر فى العالم": لقد أنفق الإسكندر بسخاء على التل المعدّ لحرق جثته، وأمر بفترة حداد فى كافة أرجاء المشرق، وأمر بأن يظل اسمه يطلق على فرقة الخيالة التى كان يقودها، وأقام ألعاباً جنائزية لتكريمه. وبالإضافة إلى ذلك، أرسل الإسكندر إلى نبوءة آمون فى سيوه ليسأل عما إذا كان باستطاعته تقديم الأضحيات له كإله، وعندما أتاه رد النبوءة بأنه يمكن تكريمه بوصفه نصف إله، سر لذلك أيما سرور، وبادر بالتوجيه بإنشاء معبد له فى الإسكندرية.[٩٣]

إن اهتمام الإسكندر بتكريم هيفايستيون بإسباغ مظاهر الألوهية عليه بهذه الكيفية يعبر بالدرجة الأولى عن مدى اهتمامه الشخصى بألوهيته هو ذاته. وفى الحقيقة فإنه لا يوجد ما يحول بعد عودة الإسكندر إلى بابل دون أن يكون قد شعر بأن الوقت قد حان لأن يكرمه اليونانيون كما يكرمون آلهتهم، وأن تكون المناسبة التى أشعرته بذلك هى ذاتها المناسبة التى شعر فيها من حوله بأنه قد أصبح سيداً على كافة الأراضى والبحار. وربما أيضاً أنه نقل رغبته هذه إلى بعض السياسيين الموالين له فى هذه الوفود لتأتى المبادرات لتأليهه هذه المرة من جانب المدن اليونانية، بدلاً من أن تأتى بقرار مباشر منه، حتى لا يشهد معارضة مثل التى

حدثت من قبل فى باكتيريا.[٩٤] وتزودنا المصادر بعدد من الشواهد أو القرائن التى يقوى بعضها بعضاً، والتى تدل مجتمعة على اهتمام الإسكندر الكبير بمسألة الألوهية فى العام الأخير من حكمه.[٩٥] فبالإضافة إلى تأليه هيفايستيون، هناك أيضاً الوفود اليونانية التى أتت إلى الإسكندر لتكريمه وهم يرتدون تيجاناً كما لو كانوا مبعوثين لحضور مناسبات دينية.[٩٦] وهناك أيضاً رغبة الإسكندر فى تأليهه أيضاً بواسطة العرب، التى تضيف بعداً جديداً إلى ما سبقت الإشارة إليه من أبعاد ألوهيته.

وكما أشار استرابون وأريانوس فإن الإسكندر أراد أن يتعبد له العرب بوصفه إلهاً ثالثاً؛ نظراً لأن أعماله فاقت أعمال ديونيسوس الذى عرف أن العرب يتعبدون له بعد يورانوس.[٩٧] وتعرفنا هذه الإشارة أن معرفة الإسكندر واليونانيين جميعاً بالمعتقدات الدينية للعرب كانت ما تزال بدائية بالمقارنة بمعلوماتهم عن جغرافيتها وسكانها، والتى كانت فى ازدياد مستمر فى تلك الآونة. ففكرة أن العرب يتعبدون لإلهين نجدها عند هيرودوتوس (Herodotus) الذى يشير إلى إلهين هما ديونيسوس ويورانيا.[٩٨] ولا تقتصر بساطة معلومات الإسكندر عن عقيدة العرب على أنه يعمم ما يذكره هذا المؤرخ عن الأنباط على بلاد العرب بأكملها، ولا على عدد الآلهة. لقد كان يجهل أيضاً أن فكرة تأليه البشر غير معروفة تماماً فى ديانة العرب وفى ديانات غالبية الجماعات السامية الأخرى المقيمة على حدود شبه الجزيرة، بل وغير معروفة أيضاً عند الفرس.[٩٩]

ومع ذلك فإن لفكرة الإسكندر تأليه نفسه بواسطة العرب دلالاتها المهمة بالنسبة لمشروعاته تجاه المنطقة، بل وربما أيضاً بالنسبة لحملاته التالية بشكل عام. فالإسكندر الذى كان يسعى إلى الألوهية والذى شعر أن أعماله فى المشرق تسمح له أن يؤلهه اليونانيون، هو ذاته الذى اعتقد أن العرب يمكن أن يؤلهونه نتيجة لما ينوى القيام به من احتلال بلادهم والسماح لهم بعد ذلك بالاحتفاظ بنظمهم وعاداتهم المتوارثة، كما فعل مع الهنود من قبل. وقد قوى هذا الشعور لدى

الإسكندر اعتقاده (غير الصحيح) أن العرب يتعبدون لديونيسوس، وإحساسه أن إنجازاته فاقت أعمال هذا الإله. ويتضح من ذلك أنه، حسب مفهومه، لم يكن بحاجة إلى التشبه بإله جديد أو ببطل جديد لكى يؤلهه العرب، بل كان بحاجة فقط إلى احتلالهم؛ وهو الأمر الذى يبين فى الوقت ذاته الكيفية التى تحول بها التأليه من نتيجة لأعماله فى حالة بلاد اليونان، إلى دافع بالنسبة لمشروعاته المتعلقة ببلاد العرب؛ خاصة وأنه كان يتوقع منهم بعد الاحتلال تأليها تلقائيا.

يتبين هذا الفارق أيضا مما يذكره بلوتارخوس من أن الإسكندر "كان يتعامل مع الأجانب بنوع من التعالى والهيبة الملكية، لكونه مقتنعا تماما بأصله ومولده الإلهى، ولكنه كان أكثر تمالكا لنفسه مع اليونانيين، مثلما أنه لم يظهر بهيئة إلهية إلا فى مناسبات نادرة ... " وبطبيعة الحال فإنه يمكن تفسير هذه المقولة بأن الإسكندر توقع من بلاد العرب بمجرد احتلاله لها ما كان يطمح طوال حياته إلى تحقيقه فى بلاد اليونان. ربما أن بلوتارخوس بالغ بعدها مباشرة عندما أضاف أن "الإسكندر لم يسمح لنفسه أن يغتر أو أن يتعالى بسبب اعتقاده فى ألوهيته، ولكنه استخدمها ليؤكد نفوذه على الآخرين،"[١٠٠] ولكن هذا المؤرخ كان ينظر بالضرورة إلى هذه الألوهية فى ضوء الدلالات السياسية لعبادة الحاكم فى العصر الهللينستى، وفى الإمبراطورية الرومانية.[١٠١] ومع ذلك فإن مقولته صحيحة تماما من حيث إنها توضح أن هذه المجالات لم تكن منفصلة عن بعضها البعض فى أعمال الإسكندر، الذى كان ميله إلى الألوهية فى نهاية الأمر محصلة لإحساسه بسيادته على كافة الأراضى والبحار، ومتوافقا معه،[١٠٢] خاصة وأنه كان يشعر فى تلك الآونة بإمكانية النظر إليه كإله بعد احتلاله لبلاد العرب.

ثالثا: الدوافع الاقتصادية للحملة :

تعد الدوافع الاقتصادية فى إشارات استرابون وأريانوس من وجهة نظر بعض الدارسين من أهم الدوافع وراء حملة الإسكندر على بلاد العرب،[١٠٣] إن لم تكن، كما هو الحال مع غالبيتهم ، هى الدوافع الحقيقية وراء الحملة على

الإطلاق.[١٠٤] كذلك فإنها تتميز عن نظيرتها السابقة بكونها لا تتعلق بشخصية الإسكندر بشكل مباشر،[١٠٥] ويمكن ملاحظة أهميتها المادية بالنسبة لإمبراطوريته. وكما هو الحال مع الدوافع السياسية فإننا نجد عند أريانوس دافعين يشكلان أيضاً وجهين لعملة واحدة، ويحتمان النظر إليهما فى ضوء بعضهما البعض؛ ويتضح ذلك من أن أولهما يشير إلى ثروات المنطقة، بينما يتعلق آخرهما بإمكانية استيطانها واستثمارها مستقبلاً. كذلك فقد استخدم استرابون وأريانوس فى وصف هذه الدوافع كلمة واحدة محملة بعديد من المعانى التى تصب فى النهاية فى فكرة واحدة، هى كلمة إودايمونيا (Ευδαιμονια) . وكما يتبين من استخدامات الكلمة فى النصوص اليونانية القديمة فإن معانيها تتراوح بين "النصيب الوافر" و "الثروة" و "الرخاء" و "الازدهار الاقتصادى".[١٠٦] ومن اللافت للنظر كذلك أن استرابون استخدمها فى بداية إشارته الختامية إلى بلاد العرب، وأن أريانوس، للتأكيد على الأمر، استخدمها مرتين: فى بداية إشارته إلى الدوافع الاقتصادية وفى نهايتها.[١٠٧] وتتركز ثروات بلاد العرب، كما أوردها أريانوس، فى مواردها النباتية مثلما تتمثل أيضاً فى سواحلها وجزرها التى يمكن استيطانها واستغلالها تجارياً.

أ) ثروات بلاد العرب :

لم يكن الإسكندر، عندما عاد إلى بابل عام ٣٢٣ ق.م، بحاجة إلى من يعرفه بموارد بلاد العرب وثرواتها، فقد أشار إليها هيرودوتوس فى كتابه عن الحروب الفارسية، وجمع فى حديثهِ عنها بعض الحقائق وقدراً لا بأس به من الأساطير.[١٠٨] كذلك فإنه أحس بنفسه بهذا الثراء، من الكميات الكبيرة من الطيب والمر والبخور التى وجدها فى غزة عندما فتحها عام ٣٣٢ق.م. وكما تشير المصادر فقد احتفظ الإسكندر بجزء كبير من هذه الغنائم وأرسل جزءاً منها إلى معلمه ليونيديس (Leonides) فى بلاد اليونان ليذكره بأيام الطفولة، عندما وبخه الأخير ذات مرة لاستخدامه كميات كبيرة من البخور، مثلما أرسل بعضاً منها أيضاً إلى والدته أوليمبياس (Olympias)، وإلى أخته كليوباترا (Cleopatra).[١٠٩] وبطبيعة الحال فإن

غزة لفتت أنظاره ولا شك إلى ما يمكن أن يجده على الطرف الآخر من الطريق التجارى الذى تقع المدينة عند نهايته الشمالية.[١١٠] ويمكن كذلك أن نؤكد أن فكرته عن هذا الثراء قد ازدادت بعد عودته إلى بابل وبعد سماعه أيضاً عن ثراء الجماعات المقيمة على الساحل الشرقىّ لشبه الجزيرة. وتتسم الرواية التى يذكرها أريانوس بكونها واضحة فيما يتعلق بموارد بلاد العرب التى تشتمل على الكاسيا (أو: القصيعة) فى الواحات، وعلى أشجار البخور والمر، وعلى شجيرات القرفة، وعلى الطيب، وكلها منتجات عرفتها بلاد اليونان من قبل، وكانت تستوردها عبر وساطة الفينيقيين بأثمان باهظة.[١١١]

ولهذا فإن دافع ثروة بلاد العرب هو أكثر الدوافع وراء الحملة وضوحاً وأيسرها تفسيراً. ومع ذلك فقد توقف عنده الدارسون فى محاولة من جانبهم لتوضيح أهداف الإسكندر من الحصول على هذه الثروة ومدى حاجته إليها. وعلى سبيل المثال فإن هوجمان يرى أن الإسكندر فكر فى الغنائم التى يمكن أن يحصل عليها من ثروات هذه المنطقة، وأن جنوده المقدونيين فكروا أيضاً فى غنائمهم، وأنهم ثاروا عندما أراد الإسكندر الاستغناء عن بعضهم، حسداً من جانبهم أن يستأثر الجنود الفرس المنضمون حديثاً إلى الجيش على الغنائم من دونهم.[١١٢] وبطبيعة الحال فإن الغنائم كانت دائماً هى الدافع الأول بالنسبة للجنود، ولكن الأمر كان مختلفاً بالضرورة بالنسبة للإسكندر، على الأقل كما يتبين من مناقشة الدوافع السابقة. من ناحية أخرى هناك من يرى أن الإسكندر كان يمر فى تلك الآونة بضائقة مالية شديدة وأنه كان بحاجة إلى مصادر جديدة للدخل، وبالتالى فإنه رأى فى موارد بلاد العرب وسيلة للخروج من مشكلاته المادية.[١١٣] ومع ذلك فإن ثروة بلاد العرب كحافز للإسكندر، فى حد ذاتها، تتضح بدرجة أكبر فى ضوء الدافع الاقتصادى الآخر المرتبط بها، والمتعلق بكيفية استثمارها واستغلال الموقع التجارى المتميز لبلاد العرب بشكل عام.

ب) دافع الاستيطان والسيطرة التجارية :

يوضح هذا الدافع أن الروايات التى سمعها الإسكندر لم تقتصر على تعريفه بموارد بلاد العرب، بل تعدت ذلك إلى توضيح سبل استيطانها واستغلال المنطقة ككل. وفى تقدير البعض فإن هذا الدافع هو أهمها على الإطلاق، مثلما أنه يفوق فى أهميته دافع ثروة بلاد العرب.[١١٤] من ناحية أخرى فإن غالبية الدارسين لا يتوقفون عند دافع الثروة التى تدخل ضمناً فى حديثهم عن الأهمية التجارية والاستراتيجية للمنطقة بالنسبة لمشروعات الإسكندر.[١١٥] ومع ذلك فإنه ينبغى أن نميز بين ما يذكره أريانوس عن ثروة بلاد العرب وعن إمكانات استيطانها، وبين ما نعرفه وما يشير إليه من هذه المشروعات. ربما أن الخط الفاصل بين هذه الأمور ليس كبيراً، بل وأنها متداخلة، ومع ذلك فمن المهم أن نميز بينها للتعرف على أهمية المنطقة فى حد ذاتها، وبين الدور المتوقع منها فى الإمبراطورية ككل.

وكما هو الحال مع الدافع الدينىّ، فإن حديث أريانوس عن سواحل بلاد العرب يدل على أن معرفة اليونانيين بمعالمها الجغرافية كانت ما تزال محدودة. فالجزر التى يشير إليها هذا المؤرخ ليست بالكثرة التى توحى بها الرواية، مثلما أن السواحل ليست مضيافة بالقدر الذى يشبه، على سبيل المثال، سواحل بلاد اليونان. ومع ذلك فإن الرواية التى يشير إليها خاطبت عند الإسكندر رغبة، إن لم تكن تعبر عن ميل لديه، تجاه استغلال المنطقة بحرياً وتجارياً، بإشارتها إلى إمكانات تأسيس الموانئ، ووجود الجزر الصالحة لرسو السفن. ويدل اهتمام الإسكندر بإرسال الرحلات واحدة تلو الأخرى لاستكشاف سواحل الجزيرة وللدوران حولها،[١١٦] بالإضافة إلى المشروعات التى قام بها فى جنوب العراق، كما سبقت الإشارة، على مدى العناية التى أولاها لحملته على بلاد العرب . وكما يتضح من التوجيهات التى أعطاها الإسكندر لقادة هذه الرحلات الاستكشافية، فإن الهدف منها كان "التعرف على سواحلها وجمع معلومات عن سكانها وعن أسلوب معيشتهم، وعن مدى خصوبة الأراضى المجاورة والأماكن التى تستطيع السفن الوقوف عندها والتزود

منها بالمياه."[١١٧] وتكتسب هذه المعلومات التى حرص الإسكندر على الحصول عليها دلالة خاصة فى ضوء ما نعرفه عن شغفه بإنشاء المدن، كما أن دلالتها تزداد أيضاً فى ضوء ما نعرفه عن اهتمامه باستيطان الخليج وجعله فينيقيا جديدة فى الشرق، وما يعنيه ذلك بالنسبة لحملته المرتقبة على بلاد العرب.[١١٨]

لقد فشلت هذه الحملات فى النهاية فى تحقيق الهدف الذى خرجت من أجله كاملاً، نظراً لأن آخر البحارة الذين أرسلهم الإسكندر لاستكشاف الساحل الشرقى للجزيرة اضطر للعودة من مضيق هرمز.[١١٩] ومع ذلك فإن هذا الفشل لم يثن الإسكندر عن عزمه فتح بلاد العرب، بدليل أنه كان مشغولاً حتى لحظاته الأخيرة بترتيبات الحملة البحرية والبرية التى يعتزم القيام بها براً وبحراً فى آن واحد. ويدل هذا الاهتمام، من ناحية أخرى، على أهمية بلاد العرب بالنسبة لمشروعاته ككل. لقد اكتملت له السيطرة على الجزء الشرقى من الإمبراطورية، وعلى الطرق التجارية البرية والبحرية المارة به، بعد عودته إلى بابل، وبالنظر إلى أن أهمية بلاد العرب التجارية تتمثل فى الوقت نفسه فى ثرواتها وموقعها، وإلى أن الإسكندر كان قد سيطر من قبل فى بداية حملاته على غزة، وعندئذ على الساحل الشرقىّ للخليج الفارسىّ، فإن السيطرة على بلاد العرب تعنى اكتمال "حلقة الاتصال البحرىّ" بين شرق الإمبراطورية وغربها.[١٢٠] ومن الناحية العملية فإن ذلك يعنى دعم نفوذه من الناحيتين السياسية والاقتصادية على كافة المناطق التى فتحها حتى ذلك الوقت، وربما أيضاً وضع أساس قوى لبعض الحملات الأخرى فى المستقبل.[١٢١]

الخـــاتمـــة

تعددت الدوافع التى أشارت إليها المصادر القديمة وراء حملة الإسكندر الأكبر على بلاد العرب، كما تفاوتت آراء الدارسين بشأن أهميتها، واتجهوا عـــادة إلـــى المفاضلة بينها. وهكذا فإن الدراسات السابقة التى تناولت هـــذا الموضـــوع مـــال بعضها إلى التركيز على الدوافع السياسية، بينما اتجهت غالبيتها إلى التركيز علـــى الدوافع الاقتصادية، الأمر الذى يعكس فى بعض الأحيان الاتجاه الفكرى للدارســـين أكثر مما يوضحه عن أهمية هذه الدوافع. وقد أدى التركيز على الجوانب السياسية والاقتصادية إلى استبعاد يكاد يكون تاماً للدافع الدينى. وكما يتضح من هذه المقالـــة فإن دراسة هذه الدوافع مجتمعة بحيث يفسر بعضها البعض يمكن أن تساعدنا علـــى فهم أكثر دقـــة لظـــروف الحملـــة، وعلـــى إدراك أهميتـــها بالنســـبة للإســـكندر ولإمبراطوريته فى الوقت ذاته.

لقد رتب أريانوس دوافع هذه الحملة بالكيفية التى ناقشتها هذه الدراســـة، فبـــدأ بالدوافع السياسية وأعقبها بالدافع الدينىّ واختتمها بالدوافع الاقتصاديـــة، ولا يملـــك المرء سوى أن يتساءل عما إذا كان هذا الترتيب مقصوداً من جانبـــه. لقـــد كـــان الرجل يتمتع بموهبة أدبية لاحظها دارسوه، مثلما لاحظوا أيضاً أنه كان على دراية بكتابات أئمة التاريخ اليونانىّ القديم، وأن هذه الموهبة لـــم تقتصـــر علـــى بلاغـــة الأسلوب وتعدتها إلى القدرة على الربط والتحليل ومعايشة الأحـــداث التـــى يشـــير إليها.[١٢٢] وطبقاً لهذا الترتيب فإن الدوافع السياسية تأتى فى مركز الصدارة، بينمـــا يمكن أن يدل التركيز على الدوافع الاقتصادية أننـــا ننظـــر إلـــى الدوافـــع نظـــرة تصاعدية من الأقل إلى الأكثر أهمية، وفى الحالتين فإن الدافع الدينـــى لا يحظـــى بالقدر الكافى من الاهتمام.

وكما تقترح هذه المقالة فإن أفضل وسيلة لتقدير أهمية دوافع الحملة تتمثل فـــى النظر إليها على أنها تمثل ثلاثة جوانب متكاملة لموضوع واحد. لقد كانت حملـــة بلاد العرب تمثل أول اختبار يواجهه الإسكندر لإثبات قدرته على المحافظة علـــى

مكانته التى وصل إليها والتى رأى فيها نفسه ورآه الآخرون فيها سيداً على كافة الأراضى والبحار، مثلما أن دافع الألوهية يعبر عن أعلى مظهر يمكن أن تتجلى به هذه المكانة، ولن يتحقق ذلك كله إلا بالسيطرة على المنطقة ومواردها التى تشكل فى النهاية المقوم المادىّ الذى يدعم هذه الجوانب.[١٢٣] وبهذه الكيفية يمكن أن ندرك أن الحملة كانت تمثل تتويجاً لكافة ما كان يسعى إليه الإسكندر طوال فتوحاته وعبر مراحل حياته السابقة، وأن نتفهم ما يعنيه استرابون بأنه أراد أن يجعل من هذه المنطقة مركزاً لإدارة إمبراطوريته.[١٢٤]

الحواشى

(١) الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى العصر الهلنستى: أبعاد العصر الهلنستى ، دولة البطالمة فى مصر، الإسكندرية، ١٩٩٧، صفحات ١٥-١٧؛ وكذلك W. W. Tarn and G. T. Griffith, *Hellenistic Civilization,* 3rd edition, New York, 1961, 1-3

(٢) يطلق الكتاب اليونانيون والرومان اسم "أرابيا" *Arabia*، أىّ: بلاد العرب، على المنطقة التى سكنها العرب فى العصور القديمة والتى كانت تشتمل بالإضافة إلى شبه الجزيرة العربية على بادية الشام والعراق. انظر: G. W. Bowersock, *Roman Arabia,* London, 1983, 1 (الذى يلحظ أن التسمية تفتقر إلى الوضوح فى مؤلفات هؤلاء الكتاب)؛ وأيضاً R. G. Hoyland, *Arabia and the Arabs: From the Bronze Age to the Coming of Islam,* London, 2001, 3؛ ويرجع السبب فى ذلك بطبيعة الحال إلى قلة معلوماتهم عن المنطقة حتى عصر الإسكندر الأكبر. وفى هذه الدراسة سأستخدم الاصطلاح بالدلالة ذاتها التى تتخطى، كما هو واضح، الحدود السياسية القائمة حالياً بين بلدان المنطقة.

(٣) الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب فى العصور القديمة: مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٠، صفحات ٤٠٨-٤١٩؛ و Hoyland, *op. cit.,* 58

(٤) تمثل مدينة تيماء التى احتلها الإمبراطور البابلى نابونائيد عام ٥٥٥ ق.م، واتخذها عاصمة له، أقصى امتداد لهذه الإمبراطوريات باتجاه قلب الجزيرة، انظر: A. R. Burn, *Persia and the Greeks: The Defense of the West 546-478 B.C.,* New York, 1962, 34-35, 49 وبالنسبة لاحتلال الفرس لماكاى (عمان الحالية) وتوسّعاتهم فى الخليج، راجع لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، صفحات ٤١٩-٤٢٠

(٥) يوجد ملخص جيد لهذه المناقشات فى: P. Högemann, *Alexander der Grosse und Arabien,* in *Zetemata: Monographie zur Klassischen Altertumswissenschaft,* Heft 82, München, 1985, 126-135؛ وانظر كذلك: الدكتورة سلوى محمود نصر، "الإسكندر الأكبر وبلاد العرب: ضوء جانبى من خلال فكره السياسىّ والدينىّ،" مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ٤٢، ١٩٩٤/١٩٩٥، صفحات ٣٦١-٤٠٠

(٦) على سبيل المثال، الدكتور جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، بيروت-بغداد، ١٩٧٦، صفحات ٥-٦؛ وسلوى محمود نصر، المرجع السابق، صفحات ٣٧٠-٣٧١، ٣٧٨، ٣٨٠؛ والدكتور سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم فى العصر الهللينستى، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٨؛ وكذلك P. Green, *Alexander of Macedon 356-323 B.C.: A Historical Biography,* 2nd edition, Berkeley, 1974, 470 وأيضاً U. Wilcken, *Alexander the Great,* trans. by G. C. Richards, New York, 1967, 223-224

(٧) انظر التعليق المختصر على هذه المصادر فى: A. Weigall, *Alexander the Great,* New York, 1933, vii-x; and M. Renault, *The Nature of Alexander,* New York, 1975, 11-18؛ وكذلك القائمة الموجودة فى: N. J. Burich, *Alexander the Great: A Bibliography,* Ohio, 1970, 21-24

(٨) Arrian, *The Campaigns of Alexander,* trans. by Aubery de Sélincourt, revised with a new introduction and notes by J. R. Hamilton, Middlesex, England, 1971؛ (علماً بأنه سيشار إلى هذا المرجع بعد ذلك بوصفه: De Sélincourt and Hamilton)؛ وفيما يتعلق بوصفه بمؤرخ الإسكندر، انظر ص ١٧؛ وعن أهمية كتاب حملات الإسكندر والهدف من تأليفه كما يعبر عن ذلك صاحبه ذاته، انظر Arrianus, 1. 12

(٩) T. E. Page, *et. ali.*, eds., *The Geography of Strabo,* viii vols., *The Loeb Classical Library,* London, 1925.

(١٠) Arrianus, 7. 20

(١١) Strabo, 16. 1. 11

(١٢) Strabo, 16. 4. 27

(١٣) بالإضافة إلى إشاراته السابقة يمكن أيضاً مراجعة الفقرة (٢: ٢٠)، حيث يشير أريانوس إلى هجوم بعض قبائل العرب في بادية الشام على جيش الإسكندر؛ و (٢: ٢٦-٢٧) فيما يتعلق باحتلال الإسكندر لمدينة غزة؛ و (٣: ١) فى إشارة عابرة (لا تخلو من مبالغة) إلى أن الإسكندر يسيطر على غالبية بلاد العرب؛ وهى الإشارة التى تتكرر على لسان الإسكندر ذاته في خطبته إلى جنوده عندما ثاروا يريدون العودة إلى ديارهم (٥: ٢٥).

(١٤) راجع عن هذا القائد: *The Oxford Classical Dictionary,* 2nd edition, s.v. *Aristobulus* (1), [W. W. Tarn] وأحدث من ذلك *Der Kleine Pauly: Lexicon der Antike,* s. v. *Aristobulos* (7), [G. Wirth].

(١٥) Arrianus, 1. 1; 5. 7, 14؛ الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى, الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة ، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٧، ص ٥٧ .

(١٦) De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.,* 21-23 ؛ وكذلك Högmann, *op. cit.,* 128 with note 6

(١٧) تشكل أخبار هذه الحملة الموضوع الرئيس فى كتاب هيرودوتوس "تواريخ", وقد صدرت مؤخراً ترجمة له (عن الإنجليزية)، انظر: "تاريخ هيرودوت"، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافى، أبو ظبى، ٢٠٠١؛ وراجع أيضاً Burn, *op. cit.,* 221 ff.

(١٨) Arrianus, 7. 9؛ على سبيل المثال، حيث يعلق على أسلوب معاملة الإسكندر لجنوده ورفقائه، وأنه لم يعد يقبل المعارضة.

(١٩) Arrianus, 2. 7؛ وكذلك Green, *op. cit.,* 165

(٢٠) Högmann, *op. cit.,* 120-121

(٢١) Arrianus, 2. 17-18؛ وانظر أيضاً: Quintus Curtius, 4. 2-4

(٢٢) Green, *op. cit.,* 42, 265-266؛ وكذلك جواد على، المرجع السابق، ص ٩

(٢٣) Renault, *op. cit.,* 117؛ وقارن Plutarchus, *Life of Alexander,* 25؛ الذى يلحظ أنها كانت أهم مدن سوريا (بالمقارنة بفينيقيا).

(٢٤) Arrianus, 2. 26؛ كذلك فإن وجود حامية فارسية فى المدينة، بالإضافة إلى أهميتها التجارية، كان سبباً آخر وراء حرص الإسكندر على فتحها؛ انظر Weigall, *op. cit.,* 190-191؛ وكذلك Quintus Curtius, 4. 6. 30

(٢٥) Arrianus, 3. 9؛ وكذلك W. W. Tarn, *Alexander the Great,* vol. I, Boston, 1956, 51: "Gaugamela uncovered the nerve-centres of the [Persian] empire."؛ انظر كذلك Plutarchus, *Life of Alexander,* 34

(٢٦) يرى لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى العصر الهلنستى، صفحات ٨٣-٨٤، أن مولد فكرة الإمبراطورية كان محصلة لانتصار الإسكندر فى موقعة إيسوس قبل عامين من موقعة جوجاميلا المشار إليها؛ على أساس رده على رسالة دارا الذى يقتبسه أريانوس (٢: ١٤)؛ وهى الفكرة التى نجدها أيضاً عند Wilcken, *op. cit.*, 111-112 الذى يركز على التفاوت فى وجهات النظر بين الإسكندر وقائده بارمينيون. انظر كذلك Plutarchus, *Life of Alexander*, 21

(٢٧) Arrianus, 5. 25؛ وكذلك Tarn, *op. cit.*, 98-99؛ وقارن Plutarchus, *Life of Alexander*, 62

(٢٨) Arrianus, 5. 25؛ انظر كذلك Plutarchus, *Life of Alexander*, 47

(٢٩) Arrianus, 6. 15

(٣٠) Arrianus, 6. 16 الذى يعقب بعد ذلك قائلاً: "وهو ما يدل على أن الهنود كانوا قد تملكهم الخوف عندئذ بسبب الانتصارات المتتالية للإسكندر."

(٣١) انظر: Wilcken, *op. cit.*, 192: "Here again we see the combination of military and economic considerations."؛ وكذلك Renault, *op. cit.*, 212

(٣٢) Arrianus, 6. 16-17

(٣٣) Högmann, *op. cit.*, 120-121 الذى يلحظ أن كافة الدوافع التى ذكرتها المصادر، باستثناء دافع الثأر من الفرس، تحتاج إلى دراسة متأنية؛ قارن كذلك سلوى محمود نصر، المرجع السابق، التى تركز على الدوافع ذات الطابع السياسى والدينى.

(٣٤) Strabo, 16. 1. 11: "αιτιαν του πολεμου"; Arrianus, 7. 19. 6: "η παρασκευη . . . οτι . . ."

(٣٥) Strabo, 16.1.11: "το δ'αληθεσ ορεγομενον παντων ειναι κυριον."

(٣٦) Arrianus, 7. 19. 6: "το δ'αληθεσ, ωσ δε μοι δοκει, απληστοσ ην του κτασθαι τι αει Αλεξανδροσ."

(٣٧) Arrianus, 4. 1؛ وربما أن أريستوبولوس هو مصدر أريانوس فى هذه المعلومات أيضاً.

(٣٨) Högmann, *op. cit.*, 127: "Die Eroberung Arabiens bedurfte anscheinend einer besondere Begründung vor dem Heer"; 128: "Alexander es als αιτια του πολεμου offiziell bekannt machen liess."؛ وعلى ما يبدو فإنه يبالغ (ص ١٢٧) فى تقديره لأهمية دور الجيش فى التأثير على مشروعات الإسكندر فى تلك الآونة. لقد كان هذا الدور محدوداً خاصة بعد أن حاول جنود الإسكندر التمرد عليه مرة ثانية وخيرهم بين أن يعودوا إذا شاءوا إلى مقدونيا, وبين أن يظلوا معه شريطة أن يطيعونه طاعة عمياء (Arrianus, 7. 9-11)؛ وخاصة وأن الإسكندر كان قد أدخل فى جيشه آنذاك أعداداً كبيرة من الفرس الذين سينفذون أوامره دون أية مناقشة أو معارضة.

(٣٩) جواد على، المرجع السابق، ص ٥؛ سيد أحمد على الناصرى، المرجع السابق، ص ٨٨؛ سلوى محمود نصر، المرجع السابق، ص ٣٧١: "إن تخلف بلاد العرب . . . لم يكن ليؤثر على شخص له مواصفات شخصية الإسكندر، ولم يكن ليؤثر على مركزه وسطوته، ولن يقلل بالضرورة من شأن ما حققه من انتصارات . . . ولن يكون مدعاة أو ذريعة يتخذها لشن حرب عليهم"؛ Green, *op. cit.*, 470

(٤٠) انظر: Wilcken, *op. cit.*, 228; Renault, *op. cit.*, 245; Weigall, *op. cit.*, 331

(٤١) Arrianus, 7. 15

(٤٢) Diodorus Siculus, 17. 113

(٤٣) كما يؤكد Högmann, *op. cit.*, 128

(٤٤) Arrianus, 4. 19؛ انظر كذلك موقف الإسكندر من صخرة خورينيس (٤: ٢١)؛ ومن الصخرة التى استعصت على هرقل (٤: ٣٠)؛ ومن عبور صحراء جيدروسيا التى لم يعبرها أحد من قبل سوى سميراميس (٦: ٢٤)؛ وكذلك حربه ضد سكان الجبال المعروفين باسم الكوسيين (سكان الأهواز) الذين أغار عليهم الإسكندر فى الشتاء، والذين يعلق أريانوس (٧: ١٥) على حربهم قائلاً: "إن الإسكندر عندما كان يبدأ مشروعاً، فإنه لا يسمح لشئ بأن يحول بينه وبين تنفيذه".

(٤٥) Hoyland, *op. cit.*, 59, where he refers to "nomadic pastoralists of northern and central Arabia," and 62-63؛ وقارن كذلك لطفى عبد الوهاب

يحيى، العرب فى العصور القديمة، صفحات ٤١٨-٤١٩؛ حيث يقتبس بعض النصوص الفارسية التى تشير إلى "ملوك الأراضى الغربية، الذين يسكنون الخيام."

(٤٦) Arrianus, 2. 20؛ وكذلك Plutarchus, *Life of Alexander,* 24

(٤٧) الدكتور مصطفى كمال عبد العليم، هردوت يتحدث عن العرب وبلادهم، مجلة العصور، المجلد الثانى، الجزء الأول، ١٩٨٧، صفحات ٧-٢٢

(٤٨) عن وجود الفينيقيين فى الجيش انظر: Arrianus, 6. 22-23

(٤٩) Herodotus, 3. 111؛ حيث يشير إلى العصى الوافدة من بلاد العرب، التى علّم الفينيقيون اليونانيين تسميتها بالقرفة؛ انظر كذلك جورج فضلو حورانى، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، مراجعة وتقديم الدكتور يحى الخشاب، القاهرة، ١٩٥١، ٣٣-٣٤

(٥٠) الدكتور سيد أحمد على الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية،الكتاب الثانى، الجزيرة العربية قبل الإسلام، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٩، ص ٤٠٥

(٥١) Strabo, 16. 4. 22؛ الذى يلحظ أنهم يبيعون منتجاتهم ولا ينفقون شيئاً.

(٥٢) Arrianus, 7. 21

(٥٣) Strabo, 16. 1. 9-11: "ταυτα δε ποειειν, προνοουντα αμα και του μη την Αραβιαν δυσεισβολον. . . "؛ وقارن Arrianus, 7. 7-8, 21-22 حيث يشير إلى الأعمال ذاتها.

(٥٤) Aristobulus, *Indica,* 41؛ انظر أيضاً Strabo, 16. 4 .4

(٥٥) D. Potts, "Thâg in the Light of Recent Research," *Atlal,* 7 (1983), 92-94

(٥٦) N. St. J. Groom, "Gerrha: A 'Lost' Arabian City," *Atlal,* 6 (1982), 98; Strabo, 16. 3. 3؛ وكذلك أ. ت. ويلسون، الخليج العربى: مجمل تاريخىّ من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة وتقديم الدكتور عبد القادر يوسف، الكويت، ب.ت.، صفحات ٨١-٨٢

(٥٧) سلوى محمود نصر، المرجع السابق، صفحات ٣٧٠-٣٧١

(٥٨) Högmann, *op. cit.,* 121: "Ein ideologisches Motiv"

(٥٩) Renault, *op. cit.*, 13-15

(٦٠) Wilcken, *op. cit.*, 244

(٦١) Tarn, *op. cit.*, 59

(٦٢) Arrianus, 3. 19؛ انظر كذلك De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 180 n. 50؛ وأيضاً Wilcken, *op. cit.*, 147

(٦٣) Renault, *op. cit.*, 161؛ وكذلك Wilcken, *ibid.*, 148

(٦٤) Arrianus, 7. 11

(٦٥) Arrianus, 7. 1-2

(٦٦) De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 348 with note 1, where they refer to E. Badian, "A King's Notebooks," *HSCP*, (1968), 183-204؛ انظر كذلك Green, *op. cit.*, 469-470؛ وأيضاً Wilcken, *op. cit.*, 226-228

(٦٧) سلوى محمود نصر, المرجع السابق، ص ٣٧٦: "الاحتمال الأغلب لما أراده الإسكندر من الشعوب التى تعامل معها بشكل أو بآخر، وبالأخص من شعوب إمبراطوريته وعلى رأسهم اليونانيون والمقدونيون، أن يحصل على لقب الإله، وما يعنيه ذلك من تبجيل واحترام وإجلال، وما يتضمنه من فروض الولاء والطاعة. واستناداً إلى ذلك فإن أريانوس واسترابون لم يبتعدا عن الصواب فيما يخص هذه الجزئية بالذات، على اعتبار أن بلاد العرب كانت أحد هذه الشعوب التى كان الإسكندر ينوى التعامل معها؛" وهو ما تستدركه (ص ٣٨٠): "إذا لم يكن للإسكندر أى رد فعل على رفض اليونانيين والمقدونيين على الأقل فى البداية إضفاء صفة الألوهية عليه، سواء كما تفهموها بمعنى عبادته، أو كما أرادها هو . . . فمن الأولى أن يتوقع ذلك من منطقة بلاد العرب كانت أهدافه الواضحة فيها . . ."

(٦٨) Högmann, *op. cit.*, 132 and 142, where he argues for the authenticity of the motive.

(٦٩) L. Edmunds, "The Religiosity of Alexander," *GRBS*, 12 (1971), 370: "Macedonian kingship is of interest . . . above all because of its religious character"; and 371: "Alexander's preoccupation with religious matters goes beyond any formal requirements of the office."

(٧٠) Tarn, *op. cit.*, 111-113

(٧١) ومن بينهم Wilcken, *op. cit.*, 213 ذاته؛ انظر كذلك Högmann, *op. cit.*, 136 n. 3

(٧٢) Wilcken, *op. cit.*, 212: "Certainly his *apotheosis*, if accepted, meant a great personal prestige, with the cities of the league. . . . But. . . Alexander had. . . previously set himself above the provisions of the league treaty, without needing a divine authority."

(٧٣) بالإضافة إلى Tarn, *op. cit.*, 111-113؛ هناك أيضاً Renault, *op. cit.*, 174, 231؛ وكذلك لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى العصر الهلينستى، ص ٨٠: "أما عن موقف الإسكندر فيبدو فيه المزج واضحاً بين الدين والسياسية على أساس أن الأول دعامة الثانية."

(٧٤) بالإضافة إلى Wilcken, *op. cit.*, 212-213؛ هناك أيضاً Green, *op. cit.*, 451-452; Edmunds, *op. cit.*, 369; Högmann, *op. cit.*, 136

(٧٥) J. P. V. D. Balsdon, "The 'Divinity' of Alexander," *Historia*, 1 (1950), 363-388

(٧٦) Balsdon, *ibid.*, 388 with notes 79 and 139

(٧٧) Edmunds, *op. cit.*, 368, 360, respectively؛ وهو ما يلحظه أيضاً Green, *op. cit.*, 322: "The burning of Persepolis had written *finis* to the Hellenic crusade as such."

(٧٨) Arrianus, 7. 25: "του θεου επιμελιστατοσ"

(٧٩) يمكن أن نضيف إلى ذلك أيضاً ما كان يتردد فى طفولته عن أصله الإلهى، وما شهده فى صباه من محاولات والده التشبه بالآلهة؛ كما يلحظ: Green, *op. cit.*, 81, 164 وكذلك: Weigall, *op. cit.*, 202

(٨٠) انظر على سبيل المثال: Green, *ibid.*, 81; Wilcken, *op. cit.*, 213

(٨١) انظر: Weigall, *op. cit.*, 205; Renault, *op. cit.*, 121؛ وبالنسبة لحالات التأليه: Wilcken, *ibid.*, 128, 211

(٨٢) راجع: Edmunds, *op. cit.*, 369, 378, 367؛ وانظر كذلك اهتمام الإسكندر بزيارة قبر أخيليوس Arrianus, 1. 12؛ وملاحظة أريانوس (٧: ١٤) أن حزنه على وفاة صديقه يشبه حزن هذا البطل؛ انظر كذلك Green, *op. cit.*, 165, 168

(٨٣) Green, *ibid.*, 383؛ الذى يلحظ الارتباط بين حملة الإسكندر على الهند وبين تشبهه بهرقل وديونيسوس. راجع أيضاً: Arrianus, 6. 28

(٨٤) Arrianus, 5. 1-2

(٨٥) الإشارة توجد فى: Plutarchus, *Life of Alexander*, 27.8؛ وقارن كذلك: Arrianus, 2.3, الذى يعلق قائلاً إن هدف الإسكندر من زيارة سيوه هو أن تفوق شهرته بيرسيوس وهرقل. وبالنسبة لتعليقات الدارسين على هذه الزيارة، انظر، على سبيل المثال، الدكتور مصطفى العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢١؛ وكذلك: Weigall, *op. cit.*, 202-204; Wilcken, *op. cit.*, 124-128 وأيضاً Green, *op. cit.*, 272-275

(٨٦) Arrianus, 5. 1-2؛ مع تعليقه على هذه الرواية؛ وكذلك: Edmunds, *op. cit.*, 376-378

(٨٧) هناك روايتان لهذه الحادثة، إحداهما فى: Arrianus, 4. 8-11، والأخرى فى: Quintus Curtius, 8. 5. 5

(٨٨) Balsdon, *op. cit.*, 382 with note 97; Wilcken, *op. cit.*, 168

(٨٩) Tarn, *op. cit.*, 79; Edmunds, *op. cit.*, 390; Green, *op. cit.*, 375; Renault, *op. cit.*, 175; Weigall, *op. cit.*, 266-267

(٩٠) كما يلحظ: Herodotus, 1. 134: "عندما يتقابل الفرس فى الطرقات يمكن للمرء دائماً أن يخبر على أساس أسلوب تحيتهم ما إذا كانوا ينتمون إلى الطبقة نفسها أو إلى طبقات مختلفة؛ لأنهم لا يتحدثون بل يُقَبّل بعضهم البعض - فيقبل المتساوون فى المكانة بعضهم بعضاً على الفم، بينما يقبلون من يعلونهم مكانة على الخدود. أما أصحاب المكانة الدنيا فيسجدون باحترام شديد."

(٩١) Renault, *op. cit.*, 174; Green, *op. cit.*, 373; Balsdon, *op. cit.*, 375-376

(٩٢) Edmunds, *op. cit.*, 387؛ الذى يميز بين أسباب مقتل كاليستينيس نتيجة لمعارضته، وأنه كان لأسباب شخصية خاصة بالإسكندر، بالمقارنة بمقتل بعض القادة الآخرين.

(٩٣) Arrianus, 7. 14-15؛ وبالنسبة لرد النبوءة وإنشاء المعبد انظر الفقرة (٧: ٢٣).

(٩٤) ومع ذلك فإنه لم يسلم من بعض الانتقادات الساخرة التى وجهها إليه بعض الساسة فى بلاد اليونان، مثل ديموستينيس ومثل الملك الإسبرطى، Renault, *op. cit.*, 231

(٩٥) Högmann, *op. cit.*, 132; Edmunds, *op. cit.*, 380-381

(٩٦) راجع: Arrianus, 7. 19؛ وكذلك تعليق: Wilcken, *op. cit.*, 213 على هذه الحادثة بأن اليونانيين أخيراً أذعنوا لرغبة الإسكندر وحققوا له رغبته في التأليه؛ انظر كذلك: Weigall, *op. cit.*, 333

(٩٧) لا يشير استرابون إلى رحلة ديونيسوس إلى الهند التى يذكرها أريانوس، وإن كان يشير إليه بوصفه أحد أهم إلهين عند العرب يزودانهم بكل ما يحتاجه البشر. كذلك فإنه يشير إلى الإله الآخر بوصفه زيوس بدلاً من يورانوس.

(٩٨) Herodotus, 3. 9؛ حيث يقول: "الآلهة الوحيدة التى يتعبد لها العرب هى ديونيسوس ويورانيا . . . ويقابل ديونيسوس فى لغتهم أوروتالت و[تقابل] يورانيا أليلات."

(٩٩) Högmann, *op. cit.*, 138؛ وفيما يتعلق بالفرس انظر: Tarn, *op. cit.*, 140

(١٠٠) Plutarchus, *Life of Alexander*, 28؛ وقارن كذلك Arrianus, 7. 30

(١٠١) عاش بلوتارخوس بعد الإسكندر بحوالى أربعة قرون؛ وكان معاصراً لأريانوس؛ وكانت عبادة الحاكم قد اتخذت عندئذ طابعاً رسمياً وتلقائياً. قارن تعليق: De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 32-33: "Arrian's hostile or skeptical attitude to the ruler cult of his day . . . [which] he shares with Plutarch . . . prevents him from doing justice to Alexander's divine aspirations."

(١٠٢) Green, *op. cit.*, 452-453 and Edmunds, *op. cit.*, 381

(١٠٣) W. W. Müller, "Arabian Frankincense in Antiquity: According to Classical Sources," (p. 84) فى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة، إشراف الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، الرياض، ١٩٧٧؛ وكذلك Högmann, *op. cit.*, 132

(١٠٤) جواد على، المرجع السابق، صفحات ٥-٦؛ سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ص ٨٨؛ نفسه، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، ص ٤٠٥؛ الدكتور أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى فى العصرين الهللينيستى والرومانى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٧

(١٠٥) Högmann, *op. cit.*, 132

(١٠٦) انظر (فى نسخته الكاملـــة): H. G. Liddle and R. Scott, *A Greek-English Lexicon,* Oxford, 1968, *s.v.* ευδαιμονεω؛ علماً بأنها يمكـن أن تعنى أيضاً فى بعض النصوص (الفلسفية) السعادة الحقيقية.

(١٠٧) Strabo, 16. 4. 27: "τησ δε των Αραβων ευδαιμονιασ . . ."; Arrianus, 7. 20: τησ τε χωρασ η ευδαιμονια . . . και ταυτασ γενεσθαι ευδαιμονασ." علماً بأنه استخدم الصفة فـــى الحالـــة الثانية.

(١٠٨) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، صفحات ١٣-١٥

(١٠٩) Plutarchus, *Life of Alexander,* 25؛ انظر كذلـك Weigall, *op. cit.*, 191; Green, *op. cit.*. 42

(١١٠) Müller, *op. cit.*, 82; Wilcken, *op. cit.*, 288

(١١١) Müller, *ibid.*, 83, 85-86

(١١٢) Högmann, *op. cit.*, 132-133 ؛ وقارن Arrianus, 7. 8-11؛ الذى يذكـــر أن السبب وراء الثورة هو إحالة الإسكندر بعض الجنود غير القادرين على القتـــال إلى الاستيداع.

(١١٣) سلوى محمود نصر، المرجع السابق، صفحات ٣٨٤-٣٨٥، مع حاشيتها رقم ٧٧

(١١٤) Högmann, *op. cit.*, 133: "Das vierte und letzte . . . das wichtigste."

(١١٥) جواد على، المرجع السابق، صفحات ٥ – ٨؛ وسيد أحمـــد علـــى النـــاصرى، المرجع السابق، صفحات ٨٨-٩٨؛ أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص ٣٥

(١١٦) أرسل الإسكندر ثلاث حملات بقيادة أرخياس وأندروسثينيس وهيرون الذى وصل إلى مكان يعرف باسم رأس موساندوم (رأس الخيمة الحالية). انظر Arrianus, 7. 20-21؛ وراجع كذلك ويلسون، المرجع السابق، ص ٩٧؛ وأيضاً لطفى عبد الوهاب يحيى، الجزيرة العربية فى المصادر الكلاسيكية، ص ٥٧

(١١٧) Arrianus, 7. 21

(١١٨) جواد على، المرجع السابق، ص ١٢؛ انظر كذلك ويلسون، المرجـــع الســـابق، صفحات ٣٠، ٤٩، وأيضاً Arrianus, 7. 19

(١١٩) وكان هذا البحار يدعى هيرون، Arrianus, 7. 20؛ كما أن البحار الذى أرسله من مدينة السويس فى مصر لاستكشاف سواحلها من الناحية الغربية عاد أيضاً أدراجه من مضيق عدن؛ انظر سيد أحمد على الناصرى، الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة، ص ٤٠٦؛ جواد على، المرجع ذاته، ص ٨

(١٢٠) كما يلحظ لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب فى العصور القديمة، ص ٤٢٢؛ انظر كذلك Tarn, *op. cit.*, 118-119; Idem, *Hellenistic Civilization,* 239-240؛ وأيضاً Wilcken, *op. cit.*, 223; Högmann, *op. cit.*, 126

(١٢١) كما يتبين أيضاً من اهتمام الإسكندر بتحويل منطقة الخليج إلى منطقة تجارية عالمية بمعايير ذلك الوقت, وتفكيره فى جعله فينيقيا جديدة فى الشرق.

(١٢٢) De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, 18, 24, 33؛ بالإضافة إلى أنه كان أيضاً قائداً عسكرياً.

(١٢٣) لاحظ مقارنة إدموندس بين الحياة البطولية للإسكندر وبين الجيش بوصفه العامل المادى الداعم لهذا المفهوم المعنوى: Edmunds, *op. cit.*, 366: "The heroic *Bios* is the formal cause of Alexander's achievement, his army is the material cause . . ."

(١٢٤) ينفرد استرابون بهذه المقولة عن بقية المصادر القديمة، ويفسرها البعض بأنه كان ينوى أن يتخذ من بابل عاصمة جديدة له، انظر سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم فى العصر الهللينستى، ص ٨٩؛ وكذلك Renault, *op. cit.*, 248